الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

الوارث

٩١

مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

ISSN 2518-5624

صفر ١٤٣٨
تشرين الثاني ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل محمد

التدقيق اللغوي

ضياء قاسم

التصميم والإخراج الفني

السيد علي ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org

٤-الإمام الحسين عليه السلام الشهيد الذي لا مثيل له

٨- الهدف المعنوي للإمام ....

٦- الحزن على الإمام الحسين عليه السلام

١٩- الإمام الحسين عليه السلام ....

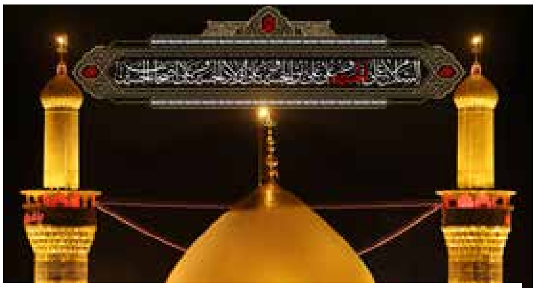

١٢- زيارة عاشوراء وسندها

٢٠- الولاية وحفظ الدين

٤٢- نماذج من التوبة في القرآن الكريم

٤٦- رحلة إلى العالم الآخر

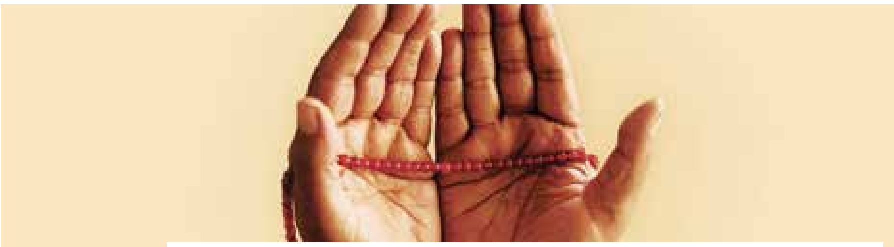

٥٢- دور التهجد في الإعداد الروحي والقلبي لخوض المهمات وتحمل الملمّات

وأنا من حسين

اشتهر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق ولده وسبطه وريحانته الإمام الحسين عليه السلام إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً».(كامل الزيارات:٥٢)

فإذا أراد أحد أن يفهم الحديث ويقف على معناه، فإن معناه عميق واسع لذيذ، ولكن هذه الورقة لا تسمح بإيراد المعنى على عمقه وسعته إلاّ أنّ ذكر المعنى بنحو مختصر لا بأس به.

فأقول: إنّ الشقّ الأول من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله وسلم «حسين مني» له معنى ظاهري يتبادر بسرعة إلى ذهن القارئ وهو: أن الحسين عليه السلام من نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ذريته، فهو ينتمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتماءً مادياً، ولكن هذا الفهم لا يكفي، ونستطيع القول إنّ الحسين عليه السلام من نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن طينته ومن فكره ومن نهجه ومن خُلقه وخَلقه، وهذا يحتاج إلى سعة في البيان ولكن المقام لا يسمح بذلك.

وأمّا الشق الثاني من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله وسلم «وأنا من حسين» فهذا يحتاج على بيان مقدمات مختصرة ليتضح المعنى:

المقدمة الأولى: إنّ الحسين عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم من شجرة واحدة ومن نور واحد ومن طينة واحدة.

المقدمة الثانية: إنّ هذا الاتحاد وهذه الوحدة تجيز للمتحدث إنّ يقول أن نور الحسين عليه السلام من نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفس نور الحسين عليه السلام، وأنّ طينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نفس طينة الحسين عليه السلام، وأنّ شجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نفس شجرة الحسين عليه السلام، فعند ذلك يصح القول (إنّ الحسين من النبي والنبي من الحسين) أي من نفس الجنس النوري والطيني والشجري إذا صح التعبير.

المقدمة الثالثة: إنّ العرب إذا أرادت أن تبين اللُّحمة بينها وبين شخص تقول (هو منا ونحن منه) لبيان الألفة والمحبة والاتحاد بينهم، وإذا أرادت أن تبين النفرة والاختلاف تقول (ليس منا ونحن لسنا منه).

فالنتيجة: أنّ القول (وأنا من حسين) تنطبق عليه المقدمات المذكورة.

وقد قيل: إنّ الإسلام محمدي الوجود وحسيني البقاء: أي لولا الحسين عليه السلام وتضحيته لما كان للإسلام من باقية ولما كان للرسول من ذكر، فبقاء ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه وشرعه هو نتيجة تضحية الإمام الحسين عليه السلام.

وللحديث شرح واسع معمق لا يسعه المقام.

المشرف العام

الإمام الحسين عليه السلام

الشهيد الذي لا مثيل له

إنّ الكلمات قاصرة عن أن توصف شخصية الإمام الحسين عليه السلام وحبه الذي أشعل نيران قلب متوهج بحبه في شخصه وفي أهل بيته وفي منهجه وفي قضيته.

ذلك الحب الذي بدأ منذ نعمة الأظفار وتفتح الفهم على الحياة، ثم أخذ الحب يكبر ويتعمق وينمو بمضي الأيام والسنوات.

وبحق إنّ حبّ هذا الإمام العظيم بمثابة شجرة طيبة ورقاء جميلة مثمرة بأحسن الثمار، تهب من عطائها ما لا يعد ويثمّن من نفحات الإيمان والأخلاق والسكون والسعادة والفكر والتطور والشجاعة وغيرها من قيم الحق.

فالإمام الحسين عليه السلام الذي ضحى بكل ما يملك، وهبه الله مزايا خاصة وأعطاه فضلاً واسعاً لا حدود له.

ومن ذلك الفضل العظيم أنّ الله تعالى يسبغ على محبي الإمام محبته الخاصة.

أليس في الحديث الشريف المتفق عليه: أحب الله من أحب حسيناً؟

ومحبة الله تختلف عن محبتنا في عمقها وعطائها ونوعها.

فحبه سبحانه ينزل على المحبين رحمة وهداية وثواباً وعطاءً توفيقاً وتسديداً وحناناً وحظوة لديه، سبحانه وتعالى.

فكم هو الارتباط بالإمام الحسين مثمراً ومفيداً في الدنيا والآخرة.

فهناك ثلاثة جوانب رئيسية، هي:

١. عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام من حيث مقامه الديني الكبير كإمام معصوم واجب الطاعة مجّده الله تعالى والرسول الأكرم وأهل البيت عليه وعليهم السلام، وقد تعرّض للموجة الأموية الجديدة التي تضطهد الناس وتكفّرهم وفي ذات الوقت تتعدى على مقام سيد شباب أهل الجنة.

٢. إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام من حيث التعرف على سر هذه الظاهرة، وتطورها النوعي والعالمي والتعرف على بعض مظاهرها ومعانيها.

٣. مركزية القضية وأهميتها لدى الإمام الحسين عليه السلام والسائرين على دربه، باعتبار أن القضية التي دافع واستشهد من أجلها هي الهدف الأساس من ثورته وإحياء ذكراه ومن كافة المراسم والشعائر الحسينية، ومن يضيّع هذه القضية فإنّما ضيّع الهدف وتناسى الجوهر.

والقضية الحسينية في أصلها هي الدفاع عن الإسلام، والعمل والتضحية من أجل إعلاء كلمة الله وشرعه ومنهجه، والتحرك الجهادي لإقامة حكومة العدل الإلهي على الأرض.

ونلاحظ أنّ الذين قدّروا الإمام الحسين عليه السلام ارتبطوا بهذه الجوانب الثلاثة بنحو ما، فقسم من أهل العالم قدّروا عظمته وأشادوا بشخصيته كقائد ثائر ومضح كبير ومؤمن صالح يتمتع بأخلاق وقيم عالية رفيعة، والدرجة العليا ممن ارتبطوا بهذا الجانب هم الذين عرفوا قدره كإمام معصوم مفترض الطاعة، سار وفق منهج إلهي نبوي في خلاص الأمة.

وقسم ثانٍ وهم عموم المحبين والموالين لأهل البيت عليهم السلام، إذ لم يكتفوا بالاعتراف بعظمته وتمجيد شخصيته فقط بل اهتموا أيضاً بإحياء ذكراه بكل أنواع الإحياء، وتعريف العالم بشخصيّته وقضيّته ومظلوميته، وهذا القسم أكثر إحساناً ومعرفة ممن اكتفى بالقسم الأول، فهم الدعاة إلى الحسين والدالون على مظلوميته، والمحيون لذكراه، والرافعون للوائه فجزاهم الله خير الجزاء، بما قالوا وبما عملوا وبما قدموا من صالح الأعمال.

والقسم الثالث وهم المؤمنون المجاهدون الذين جمعوا

بين الجانب الأول والثاني، وانتقلوا إلى القسم الثالث وهو الجوهر والهدف.

وهؤلاء هم خواص أهل العالم وطليعته المتقدمة كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه».(نهج البلاغة)

وهم من الذين فضلهم الله على سائر المؤمنين بحكم القرآن والأحاديث الشريفة، وهم العاملون في المسيرة التصحيحية على مستوى الأمة، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر على جميع الأبعاد والمستويات، ومنها على المستوى العالمي؛ اقتداءً بإمامهم سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام.

وهؤلاء الصفوة قد استوعبوا مقاصد الإسلام فعملوا على رفعته وتحققه كدين جاء لخلاص البشر من كافة الظلمات إلى نور الهدى والحرية والسلام والعلم والرخاء والتقدم.

فالإمام الحسين عليه السلام في حياته عظيم، وفي أخلاقه رفيع، وفي شهادته فريد، بل هو عظيم متفرد لا يتكرر. (الخصائص الحسينية للتستري).

فهل هناك جد كجده وأب كأبيه وأُم كأُمه وأخ كأخيه وأُخت كأُخته؟!

بل هل هناك شهادة كشهادته في تفاصيلها وبطولاتها وأخلاقها وتضحياتها ومآسيها؟!

فبتلك الشهادة العظمى بات أُفقاً تعالى عن حدود الزمان ومساحة المكان.

أُفق شاهد ممتد.. لا ينجلي عنا في سماء هذا الوجود الكوني، يستصرخنا لنصرة الدين.

ولنعلم ما قاله أبو العلاء المعري بحق الإمامين الشهيدين علي ابن أبي طالب وولده الحسين بن علي عليهما السلام:

وعلى الدهر من دماء الشهيـ
ـدين علي ونجله شاهدانِ
فهما في أواخر الليل فجرا
ن وفي أولياته شفقان

فالحسين ثأر الله ووليه وسيد جنانه وهو مصباح هدى الرب، وابن ثأره، وقائد السفينة الأوسع لنجاة العالم.

وهو الذبح العظيم، في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾. (الصافات:١٠٧)

وهو المظلوم المنصور، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾. (الإسراء:٣٣)

وهو الشعيرة الإلهية الكبرى، قال الإمام علي عليه السلام: «نحن الشعائر والأصحاب».(نهج البلاغة: الخطبة١٥٢)

هو الحي المرزوق من عند ربه، وهو سيد الشهداء من الأولين والآخرين.

وهو القامة السامقة الرافضة للظلم في ردهات العصور، والمعلم الثائر الذي كشف للعالم بسلوكياته الراقية روائع النبل والخلق الديني الرفيع، وأوضح بصراعه مع الطغاة الظلمة المتهافتين على السلطان والدنيا فضائح الدناءة والحيوانية الساقطة لديهم.

وهكذا غدا الحسين عليه السلام راية ترفرف لأحرار العالم، فمنه يستلهمون قيم الصبر والتحدي والكفاح والشجاعة والعزة والإباء.

والحسين عليه السلام هو أيضاً منهج للمجاهدين الساعين لتغيير الواقع السيئ من حولهم.

فيستمدون من كل تحركاته وسلوكياته، بل من كل مواقف وقفه، وقولٍ قد قاله قدرة ونهجاً لهم، وهم يواجهون طغاة يزيديين لا يختلفون عن يزيد زمانه.

وحق قول الرب العظيم حين أشار في كتابه الحكيم أن الطغاة هم منهج واحد، وكأن بعضهم يوصي الآخر بذات السلوك السيئ، إلاّ أنّ الله يؤكد أنّ الطغيان الذي يعتمل في قلوبهم هو السبب في تلك السلوكيات المقيتة العدوانية الشرسة؛ قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾. (الذاريات:٥٣)

حقاً حين نتحدث عن هذا الشهيد العظيم، نقف متحيرين.

فآلاف الشهداء في تاريخ الأمة الإسلامية، أو في الأمم الأُخرى بمقاييسها الخاصة استشهدوا، إلاّ أن ذكراهم محدودة بزمن أو مكان معين، إلاّ الإمام الحسين عليه السلام فلا يخلو من ذكره زمان أو مكان.

بل نكاد نجزم أن ذكراه ابتدأ منذ أن خلق الله تعالى الخلق، وما من نبي - كما في الروايات الصحيحة - إلاّ وأُعلم عن هذا الشهيد الفذ والنادر، وعن بطولاته وتضحياته.

وكم هي الثورات والحروب التي توالت على هذا العالم، فمن ذا الذي يذكرها ويحييها باستمرار، إلاّ عاشوراء وعلى الرغم من أن أحداثها لم تستغرق إلاّ ساعات من يوم واحد.

إلاّ أنّها قد استطالت على الدهور بحيويتها وعطائها، فكانت ولا تزال المدرسة الحيوية الكبرى الناهضة بالأمة الإسلامية، وبكل الشعوب المكافحة لحياة أفضل.

وحقاً أن الأمم الحية والمكافحة هي وحدها التي تستفيد من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وتتأثر إجابياً بها.

فالشعب الهندي مثال، والشعب الإيراني مثال آخر، والشعب العراقي مثال ثالث، والشعب اللبناني مثال رابع، والأمثلة كثيرة لشعوب ما زالت تتحرك وتكافح، وسيظهر حينئذ للعيان أنها من عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام قد استلهمت سر نهضتها وحيويتها ونجاحها.

السيد جعفر العلوي

الحــــــزن عــلـى الإمام الحسين عليه السلام

لا يخفى على القارئ أن القضية الحسينية سواء بجوهرها أو بتفاصيلها وجزئياتها تعرضت ومنذ السنين الأولى للثورة إلى محاولات عديدة من أجل تشويهها تارة، وتشويشها تارة ثانية، والتشكيك في أهدافها وغاياتها تارة ثالثة.

وقد استمرت هذه المحاولات تترى سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل، كلما تجدد الزمان تجددت تلك المحاولات وتغيرت بأساليب مختلفة.

ولكن هؤلاء المتصيدين في الماء العكر لما عجزوا عن المسّ والحط من شخصية قائد ثورة الطف الحسين بن علي عليهما السلام، ولما استعصى عليهم التشكيك بأهداف تلك النهضة العظيمة، مع محاولاتهم العديدة لتحقيق هذه الغايات الدنيئة، والتي تحطمت كلها على صخرة عظمة الحسين عليه السلام.

وبعد العجز عن النيل من شخص الحسين عليه السلام عمدوا إلى التشكيك بالشعائر التي أفرزتها ثورة الحسين عليه السلام وأساليب إقامة العزاء الحسيني.

ومن هذه التشكيكات، تشكيكهم بمراسم العزاء الحسيني عموماً، وبالبكاء والحزن على وجه الخصوص، ورمي تلك الطقوس المذهبية والإسلامية بالجاهلية تارة، وبالبدعة تارة ثانية، وبالتخلف وعدم مواكبة العصر تارة ثالثة.

الحزن غريزة خلقها الله وأمر بتهذيبها

لما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، أودع في تركيبة خلقته الآدمية مجموعة من الغرائز والطباع التي تسهم بمجموعها فيما لو كرست تكريساً إيجابياً في تكامل الإنسان ورقيه.

معنى الغريزة

نشأت كلمة الغريزة من معنى الغرز وهو دخول شيء في شيء آخر، بصورة كاملة وراسخة كمثل غرز المسمار في الجدار، وتعني هذه الكلمة القوى الراسخة في طبيعة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصالها عنها.

وهي تساوي لفظ الطبيعة، والفطرة، والسجية، قال ابن حجر: (الطبع السجية التي جبل عليها الإنسان... والطبع والطبيعة والخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان بمعنى واحد... وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعاً فطره). (لسان الميزان:٢/٢٣٢، مادة (طبع)

ولا يخفى أنّ الحزن يمكن أن يكون غريزة لأنه داخل وراسخ في طبيعة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصاله عنها، وهو كذلك طبع وفطرة وسجية لأنّ هذه الألفاظ كلها لمعنى واحد تقريباً.

من هنا نرى أن الأحاديث الشريفة وكلمات العلماء استعملت معنى الغريزة على مصاديق شتى كقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «واعلم أن الجبن والحرص غريزة يجمعهما سوء الظن». (وسائل الشيعة:١٢/٤٦)

وقال السيد محمد سعيد الحكيم وهو يتكلم عن الغناء ما يلي: (فإذا كان الاستماع بهدف إشباع غريزة حب اللهو والبطالة كان حراماً...). (حواريات فقهية:٣٣٥)

حتى إنّ بعض العلماء عدّ العقل من الأمور الغريزية فقال وهو يصف العقل بقوله: (هو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات). (مغني المحتاج للشربيني:١/٣٣)

ولا يخفى أن عدّ العقل غريزة هو باعتبار كونه داخلاً وراسخاً في تركيبة الإنسان رسوخاً لا يمكن انفصاله عنها.

وكان من بين هذه الطبائع والغرائز غريزة الحزن والبكاء.

فالإنسان موجود بكيفية يستجيب معها لمختلف مؤثرات البيئة، بأفعال وحركات وحتى إفرازات في بعض الغدد الموجودة داخل الجسم بحسب ما

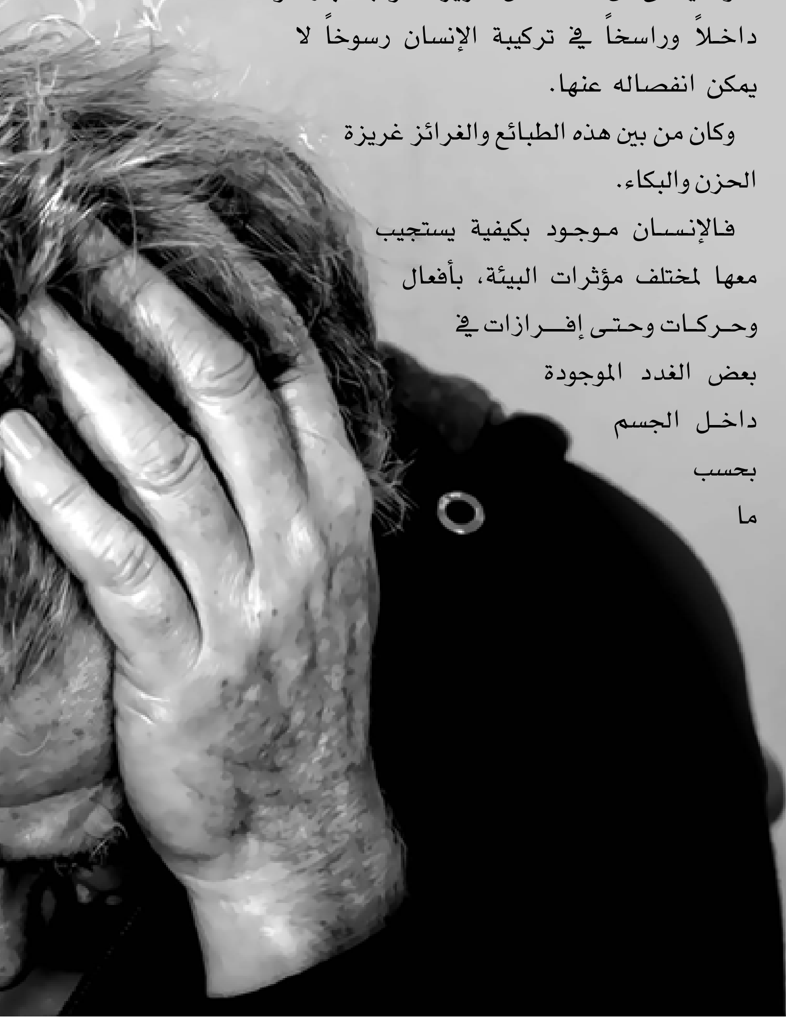

يقتضيه الظرف المحيط بالإنسان في لحظات الانفعال مع المحيط الخارجي، فنراه يقبض يده مثلاً عند ملامسة شيء ساخن، وحينما يمر بظروف تفرحه وتسره فإنّه يعبر عن ذلك الفرح وهذا السرور بالابتسامة تارة والضحك تارة أخرى، وكذلك يغضب عندما يمر بظروف لا تلائم طبعه وتخرجه عن حالة الارتياح فيغضب معبراً عن حالة غضبه بالصراخ أو الضرب وغير ذلك، كما أنّه يحزن حينما يشعر بخسارة في مال أو ولد، فيعبر عن هذا الحزن بدموع تجري على خديه وزفرات وآهات تملأ قلبه.

إذن فالحزن وما ينتج عنه من البكاء طبع من عشرات الطباع التي غرزت وأودعت في فطرة الإنسان، يوم خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾.[النجم:٤٢-٤٣]

وعن ابن عباس قال: (إنّ الله هو أضحك وأبكى أي خلق في الإنسان الضحك والبكاء).(فتح الباري:١/٦٣)

والدين الإسلامي الخاتم، قد رفع شعاراً على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، أوضحه بقوله: «إنّما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق».(السنن الكبرى:١٠/١٩٢)

وتجسيداً لهذا الشعار، وانطلاقاً من مفهومه أمر الله سبحانه الناس بتهذيب أخلاقهم، وبمعنى آخر أمرهم بتهذيب تلك الغرائز والطباع المودعة في فطرتهم، وجعلها تعيش حالة الوسطية والاعتدال بين حالتي الإفراط والتفريط وهذا ما يمكن استكشافه من كثير من الروايات الشريفة والآيات نظير ما روي عن بعض الصحابة أنّه قال: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكنّي أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني...».(تفسير ابن كثير:٢/٩٠)

فنزل على أثر هذه الحادثة وغيرها من الحوادث قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.[المائدة:٨٧]

وفيها أمر واضح بأنْ يكون منهج الإنسان عدم المبالغة في التضييق بحيث يصل إلى مرتبة تحريم المباحات، وعدم الإسراف بحيث يتعدى إلى المحظورات والمحرمات، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.[الفرقان:٦٧]

وبالجملة فإنّ الإسلام معروف بأنّه دين الوسطية وهذه الأُمة المرحومة هي أُمة الوسط بين رذيلتي الإفراط والتفريط قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾.(البقرة:١٤٣)

والحزن وآثاره من البكاء شأنه شأن تلك الغرائز والطباع التي أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بتهذيبها، فالحزن نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، وله التأثير الكبير والفاعل في رقي الإنسان وتكامله.

وقد أخطأ أولئك الذين ظنوا أنَّ قتل غريزة الحزن وإخماد آثارها كالبكاء يسبب للإنسان الكمال، غافلين عن أنّ الله سبحانه وتعالى ما خلق لنا هذه الغريزة ولا أعطانا هذه النعمة، لنميتها ونخمد صوتها داخل النفس الإنسانية بل ندبنا لبثها والتعبير عنها، وكذلك أخطأ أولئك المفرطون في الحزن، الذين صار حزنهم ودموعهم باباً إلى الجزع والاعتراض على مقادير الله سبحانه وتعالى وقضائه.

وأبلغ كلمة قيلت لتبيان الحد الوسط بين الإفراط والتفريط في مسألة الحزن، هي ما جاءت على لسان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات ولده إبراهيم حيث قال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب».(صحيح مسلم:٧/٧٦)

إذن فتحصل مما سبق أنّ الحزن وآثاره من رقة القلب وبكاء العين، هو نعمة خلقها الله سبحانه وتعالى وأودعها في صميم تركيبة الإنسان، وأمره بتهذيبها والخروج بها من حالتي الإفراط والتفريط، ليصل من خلال هذه النعمة إلى كماله ورقيه.

محمد علي العبودي

الهدف المعنوي للإمام الحسين عليه السلام في معركة عاشوراء

إنّ أقرب صورة حديثة لقراءة الهدف العسكري عند القيادة العليا لمعسكر أعداء الإمام الحسين عليه السلام ممثلاً برأس السلطة يزيد بن معاوية وواليه على الكوفة عبيد الله بن زياد (عليهما لعائن الله) هي نظرية القائد العسكري كلاوزفيتس عن الهدف العسكري.

يقول كلاوزفيتس: إن هدف العمل الحربي هو نزع سلاح العدو، وسنثبت أنّ ذلك ضروري على الأقل من الناحية النظرية؛ وإذا كانت غايتنا هي دفع العدو إلى السير وفق إرادتنا، فإنّ علينا أنّ نضعه في موقف يزيد تأثيره عن التضحيات التي نطلبها منه؛ ولا يجب أن تكون مساوئ موقفه مرحلية، على الأقل في مظهرها، وإلا قاوم العدو بدل الخضوع آملاً أن يتطور الموقف لصالحه ويجب أن تؤدي تبديلاته التي ترمي إلى متابعة الحرب إلى موقف أسوأ... إنّ أسوأ وضع يقع فيه المقاتل هو عندما يجد نفسه مجرداً من سلاحه؛ فإذا أردنا إجبار العدو على الاستسلام وجب علينا تجريده من سلاحه أو وضعه في موقف يهدده باحتمال تجريده منه وهكذا فيجب أن يكون سلاح العدو أو هزيمته هو هدف فن الحرب... فيجب أن يكون حجم قواتنا العسكرية كبيراً ما دام هدفنا المنشود هو تدمير قوة العدو؛ وعلينا أن نعرف أنّ كل جهد نبذله لتدمير العدو ينعكس علينا ويؤدي إلى أسوأ النتائج في حالة الفشل... وليس لدينا سوى وسيلة واحدة للحرب هي المعركة، وإنّ الحل الدموي للأزمة بعد الجهد المبذول لتدمير جيوش العدو هو ابن الحرب البكر). (الاستراتيجية وتاريخها في العالم:٢٨٩)

إنّ هذه الأسس في نظرية الهدف العسكري تكاد تكون موحدة عند معظم القادة العسكريين الذين يطمحون للحسم العسكري في حروبهم مستفيدين من المعركة بكونها الوسيلة التي تحقق الهدف العسكري.

وهو ما نطقت به صنوف جيش عمر بن سعد في كربلاء فقد كانت الكثرة العددية وصفوف الجيش وتنوع العدة القتالية والإصرار على قتل جميع أفراد الخصم وإن كانوا قلة قليلة هو الهدف الأوحد لدى خصوم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وفي المقابل لم يكن الإمام الحسين عليه السلام في غفلة عن هذه التوجهات والطموحات في تحقيق الهدف العسكري الذي يسعى إليه عدوه.

فقد عزم على وضع إستراتيجية معقدة على المستوى العسكري في ذراعي المعركة، أي الهجوم والدفاع، وتكبيد العدو خسائر عظيمة فضلاً عن تأسيسه لمنظومة إستراتيجية (هجومية دفاعية) لكل من أراد أن ينهل من علوم مدرسة كربلاء ويوم عاشوراء.

فكان الهدف العسكري عند الإمام الحسين عليه السلام إظهار عجز العدو ذي الامتيازات العسكرية في كثرة العدد وصنوف الجيش وتشكيلاته حينما سيواجهه عليه السلام مع مجموعة من الرجال تفوق هذه الجيوش روحاً معنوية وعقيدة قتالية منطلقاً في هذه الإستراتيجية من القرآن الكريم الذي أسس للهدف المعنوي قبل الهدف العسكري، بل جعل القرآن الهدف العسكري نافذة على تحقيق الهدف المعنوي فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾. (الأنفال:٦٥)

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾. (المائدة:٣٢)

ولعل الرجوع إلى القرآن والكتب السماوية وحياة الأنبياء التي قادت بعض المواجهات بين أتباعها وأعدائها

يقدم لنا صورة واضحة عن الهدف المعنوي الذي كان غاية الأنبياء والرسالات.

فكان التباين واضحاً في مدرسة عاشوراء بين الهدف العسكري والهدف المعنوي الذي سعى لأجل إثباته الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من خلال مجموعة من الأسس والخطوات النظرية والعملية، منذ تحركه من مكة متوجهاً إلى كربلاء فكتب رسالة إلى أخيه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم خاصة دون غيرهم من المسلمين مستناً بذلك بما أمر الله تعالى به رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عند بدء الدعوة إلى الإسلام فقال سبحانه مخاطباً نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. (الشعراء:٢١٤)

ولذا: كان خطاب الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة إلى كربلاء مخصصاً إلى بني هاشم خاصة لأنهم هم المعنيّون بالدرجة الأولى في الإنذار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان الكتاب يحمل الهدف المعنوي قبل الهدف العسكري وهو المنهج الذي اعتمده سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في مسيره إلى العراق.

فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام».(كامل الزيارات:١٥٧)

ولا شك أنّ الذين لحقوا به صلوات الله وسلامه عليه قد استشهدوا جميعاً وهم الوحيدون الذين أدركوا الفتح فبهم تمّ التأسيس لعقيدة ما تسلح بها أحد من الناس إلاّ وقد فتح عليه النصر فبهذه العقيدة أزيلت طواغيت وقامت دول فضلاً عن كونها ملهماً للأحرار في العالم حينما يقرأون عاشوراء.

ذلك فضلاً عن الإستراتيجية العسكرية أو فلنقل بالمعنى الأعم الإستراتيجية الحربية فما زال الإنسان في صراع مع ذاته وهو بحاجة إلى وضع مجموعة من الإستراتيجيات للوصول إلى الهدف المنشود وهو الانتصار على الذات وهو ما زخرت به عاشوراء منذ أن خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى اللحظات الأخيرة له على أرض كربلاء، من شعارات في نطاق الحكمة النظرية والحكمة العملية.

كقوله عليه السلام: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام».(بحار الأنوار:٤٤/٣٣٠)

وقوله عليه السلام: «مَا الإِمَامُ إِلاَّ الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللهِ». (الإرشاد:٢/٣٩)

وقال عليه السلام: «لاَ مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ». (نزهة الناظر وتنبيه الخاطر:٨٦)

وقوله عليه السلام: «أَلاَ مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلاً مُهْجَتَهُ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا».(بحار الأنوار:٤٤/٣٦٧)

وقال عليه السلام: «إِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَبْعُدْ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ».(الإرشاد:٢/٦٧)

وقوله عليه السلام: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْراً مَا أَرَادَ اللهُ بِنَا قُتِلْنَا أَمْ ظَفِرْنَا».(تاريخ الطبري:٤/٣٠٦)

وقال عليه السلام: «إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلاَءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ».(تحف العقول:٢٤٥)

وقوله عليه السلام: «فَإِنِّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلاَّ بَرَماً».(نزهة الناظر وتنبيه الخاطر:٨٨)

وقال عليه السلام: «لاَ أَفْلَحَ قَوْمٌ اشْتَرَوْا مَرْضَاةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ».(بحار الأنوار:٤٤/٣٨٣)

وقوله عليه السلام: «لاَ وَاللهِ لاَ أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ وَلاَ أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ».(الإرشاد:٢/٩٨)

وقال عليه السلام: «هَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ». (اللهوف في قتلى الطفوف:٩٨)

وقال عليه السلام:

«الْقَتْلُ أَوْلَى مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ
وَالْعَارُ أَوْلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ».

(اللهوف في قتلى الطفوف:١١٩)

وقوله عليه السلام: «كُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْرَاباً».(بحار الأنوار:٤٥/٥١)

فهذه الأسس في الإستراتيجية البنائية للنفس الإنسانية وغيرها مما نطقت به الألسن والأيدي في كربلاء لكثيرة جداً وكلها جديرة بالتأمل والدراسة والبحث.

سيد أحمد الموسوي

الشعائر والشُّبهات

في أول شهر محرم من كل عام تبدأ الحملات المسعورة من قبل العامة وأذنابهم ضد عاشوراء وما تختزنه من مشاعر وعواطف قلّ نظيرها في بقية المناسبات، بغية تشويهها، وتشكيك القواعد الشيعية بمضامينها عبر إثارة الشبهات حولها بدءاً بالبكاء وانتهاءً بالضرب بالسلاسل والسيوف واللطم.

فتبدأ المحاضرات وإلقاء الخطب هنا وهناك ليشككوا بكل شيء يمتّ إلى عاشوراء، ويكشّر الصحفيون المنافقون ذوو المطامع والمطامح عن أنيابهم كلّ سنة ليفترسوا بأقلامهم المأجورة وألسنتهم الحداد الشحيحة تلكم المراسم العاشورائية فيحاولون المساس بالشعائر لتضعيف الروح الحسيني ومبدأ الإصلاح الذي خرج من أجله سيد الشهداء عليه السلام، فليس ثمّة منكر أو فساد في محرّم.

فليس هناك سوى مراسم عاشوراء، فلا يعجبهم شيء من شعائر عاشوراء، حزناً على سيد الشهداء، فلا قارئ العزاء ولا الخطيب المفوّه، ولا الباحث النحرير يروق لهم أو يستريحون لأفكاره، لمَ؟ لأنّه يدافع عن مراسم الطف الشجية ويربط الناس بأشرف قضية وأعظم رزية ألا وهي كربلاء مولى الأحرار الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

فلماذا كل هذا الكيد بل النصب والعداوة لمراسم عاشوراء؟ ألأنّها قتلت آباءهم واختلست أموالهم؟ كلاّ، لأنّها تنتمي للإمام الحسين عليه السلام فأرعبت قلوبهم وصعقت عقولهم، فلم يستطيعوا أن يحاربوا الإمام الحسين عليه السلام مباشرة كما حاربه أعداء عصره، فحاربوا المراسم والشعائر الملتصقة به، ولو كانوا صادقين بمحبتهم للإمام الحسين عليه السلام لما حاربوا مراسمه وشعائره التي تقرّب الناس إلى أهدافه، وتشدّهم إلى الانتساب إليه عليه السلام، ومن أحبّ شخصاً أحبّ كلّ ما ينتسب إليه.

إنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام هي في منتهى درجات المظلومية وأقصى مراتبها، تتضاءل أمامها كلّ مظلومية، فذكرها يثير العواطف والأشجان والعبرات، وتخلع الأفئدة وتهزّ المشاعر والمدارك، ولو أنّ أُمّة الإسلام أحبّت الإمام الحسين عليه السلام كما تدّعي لاستطاعت عبر ذكراه العطرة بسط مفاهيم الإسلام ونشر رحمته وعدله على العالمين ولتحررت من نير المستعمرين، وكل من يريد للباطل أن يهيمن وينتشر، وهل ثمّة باطل أعظم من أن يتحكم بنا عصابة من المخالفين لا يرحمون صغيرنا ولا يوقرون كبيرنا، ولا حرمة لأعراضنا وأموالنا لديهم.

فنحن بنظرهم طائفة من اليهود تستباح أموالنا وأعراضنا ودماؤنا على حدّ تعبير ابن تيمية وأذنابه اليوم؟!

وهل ثمّة ظالم غاشم كأولئك الذين هدموا قبور أئمتنا عليهم السلام في البقيع الغرقد وحاولوا هدم قبورهم في العراق.

كلّ ذلك من أجل أن قبور أئمتنا عليهم السلام منارات تنير دروب الحيارى في صحراء الظلام، ولأنّ هاتيك المقابر الشريفة شعائر إلهية تقض مضاجع أولئك الظالمين، فراحوا يجنّدون كلّ طاقاتهم، ويحشدون عملاءهم لضرب الشعائر الحسينية، وكل ما يمت إلى أئمتنا عليهم السلام بصلة.

لكن جهودهم باءت بالفشل الذريع بفضل تماسك الموالين وجهود العلماء العاملين العارفين بأمر آل البيت عليهم السلام.

فلكل رسول ووصي امتداد بعده، فامتداد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن المعجزة، وامتداد أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهجه الذي رسمه لنا وبطولاته ومواقفه المشرفة، وامتداد سيدة النساء بصرختها الكبرى بوجه الظالم المستبد، وامتداد الإمام الحسن عليه السلام بحفظه لمصالح المؤمنين وشفقته على عامة المستضعفين، وامتداد الإمام الحسين عليه السلام إنما كان بثورته على الظالمين.

فدوره عليه السلام يختلف عن أدوار من سبقه

من الأولياء الطاهرين، حيث كان دوره العظيم في خروجه المبارك على المبادئ الفاسدة والمفاهيم البائرة المترسخة في المجتمع الإسلامي آنذاك.

فدوره بحاجة إلى إحياء بكلّ أبعادها ومرافقها في واقع الحياة، ولا يمكن أن تحيا بالقصائد والخطب فقط، فذلك يصلح أن يكون ممسكاً لانتاج عطاء الذكرى وقد نحتاج إلى شعلة ثورية لامتداد الثورة الحسينية، فالشعيرة الحسينية بأشكالها هي الوحيدة القادرة على أن تموّج الحياة وتزلزل الأرض بعروش المستكبرين.

وتنفض عنها التيجان الجائرة، وتنتزع القيادات من الأيدي القذرة، لتضعها في أيدي الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

والكفيل بذلك ثورة الإمام الحسين عليه السلام من خلال الامتداد الواقعي لها وهو مجموع ما يفعله الشيعة الكرام في بلادهم أيام عاشوراء من المراسم الحسينية المتنوعة كالتطبير واللدم واللطم وما شاكل ذلك من الأُمور التي تعيد إلى الأذهان واقع المأساة التي عاشها غريب كربلاء عليه السلام.

فمواكب عاشوراء بكل ضجيجها وتوترها وانفعالها هي الوحيدة التي تنقلنا من أجوائنا المعقّدة والهزيلة إلى جوّ الثورة التي عاشها غريب الطف عليه السلام في صحراء كربلاء.

والثورة الحسينية بما تملكه من زخم عقيدي لا يمكن أن تزعزعها جهة سياسيّة أو تنظيم اجتماعي، مهما كانت هذه الجهة وهذا التنظيم يختزنان أفكاراً وتوجهات، ولا يمكن أن تقف جهة بوجه المدّ الثوري الحسيني.

ولو كانت هذه الثورة لبقيّة الأمم لاستدرت منها طاقات تؤهلها للسيطرة على الأرض، ولا زلنا قاصرين في الاستفادة منها بالمقدار الممكن الذي يريده منا أهل البيت عليهم السلام من خلال إحياء الذكرى.

فعلى المخلصين من أفراد الأُمة أن يصعّدوا درجة الإخلاص إلى مراسم هذه الثورة لعل عامة الأفراد يؤوبون إلى رشدهم يوماً ما ليبنوا كيانهم من جديد.

ولو أنّ الأمة تغافلت أو تناست ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه أو فرطت في مراسمه المقدّسة لحكمت على نفسها ومستقبلها بالموت الروحي والنفسي والفكري، إذ قد تكون سدّت على الأجيال الطالعة أغزر مواردها، ولو استيقظت يوماً من الأيام فلا تقدر على النهوض إذ لا تجد حينئذ مقوّمات النهوض والصّمود.

علينا أن نحافظ على ثورة الإمام الحسين عليه السلام وامتدادها الحقيقي لكونها أمانة كبرى امتحننا الله تعالى بها، فكما أنّ أجدادنا وأسلافنا حافظوا عليها بالأضاحي والقرابين الكثيرة حتى تناقلتها أجيال فأجيال إلى أن وصلت إلينا، فيجب علينا أن نحافظ عليها بكلّ ما أوتينا من قوة ليمكننا أن نسلّمها إلى الأجيال القادمة.

محمد جميل العاملي

زيارة عاشوراء وسندها

من عاشوراء الطفوف.. حتى عاشوراء الظهور..

الإعلام والإعلام المضاد.. مفردتان تتناوبان على مجمل الحركة الفكرية التي تشهدها الساحة الإسلامية منذ تاريخها نشوءاً بل استمراريتها حدوثاً وبقاءً، والمقصود من الساحة الإسلامية هي الساحة التي تحكمها الحالة الشيعية، تلك الحالة التي تُعد من أبرز متغيرات التحولات العقائدية عند بروز المذاهب الإسلامية.

والمقصود من المتغيرات هنا: المتغيرات التي حافظت على أساسيات الاعتقاد الإسلامي الذي معه بدت الحالة الشيعية تأخذ صدارة الأحداث، فالقرارات السياسية الجائرة التي تعمل على طمس الحقائق الإسلامية رافقتها حالة الانكفاء والتحيز إلى النكوص والالتواء على الثوابت العقائدية، دون الأخذ بنظر الاعتبار مصادر التشريع وامتداداته المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، في حين بقيت الحالة الشيعية - وبالرغم من ظروف المطاردة والإقصاء - تتألّق بثقافتها الإعلامية المصادرة، لكنها المصدّرة ضمن مشروعها الإعلامي العظيم الذي أسسه أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن خلال قنواتها الإعلامية - الفكرية التي تفرّد بها هذا الكيان المطارد لكنه صاحب المبادرة في طرح الفكرة.. الحادثة.. المظلومية.. القضية.

وكل ما لهذا التاريخ من اعتبارات التأسيس والتأصيل ومن ثم الاستمرار، «(فعاشوراء) القضية الأبرز من بين القضايا الشيعية تأخذ على عاتقها مظلومية أمة تمتد من عاشوراء الطف حتى عاشوراء الظهور.. أي من كربلاء الحسين الشهيد المنتصر.. حتى كربلاء المهدي القائد المنتصر.

ولابد لهذه القضية من آليات الإعلام الحي، ومعنى (الإعلام الحي) ذلك الإعلام المنتصر بأدوات الحقيقة وتفاعلات الحدث، فإعلامنا اليوم يتابع القضية من خلال رؤية شخصية، أو واقعة عامة، أو صيغة خاصة تتأرجح بين الاحتمال واليقين، أو بين الممكن وغير الممكن، أو بين الخطأ والصواب.

في حين الإعلام العاشورائي يقدّم الحقيقة كما هي لكنها الحية التي تعيش في الضمائر والوجدانيات..

فزيارة عاشوراء تلك الفلسفة المختزلة بين حنايا سطور النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تقدّم الصيغة المعتمدة في قراءة الحدث وبكل تفاصيله، والمختزل بكل بلاغته، والممتد بكل عنفوانه في مطاوي النفس كما هو ممتد في آفاق الزمن المطارِد والمطارَد بحيثياته الحقيقية والموضوعية.

عاشوراء

إنّ ليوم عاشوراء من عام واحد وستين للهجرة خصوصية امتاز بها عن سائر الأيام، إذ لولاه لمحق الدين وضاعت أحكامه، ولولاه لنحر بنو أمية الإسلام نحر الأضاحي، ولولاه لما رفع على المآذن اليوم صوت يشهد لله سبحانه بالتوحيد وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، ولولاه لأصبح دين الناس اليوم هو دين يزيد بن معاوية عليه اللعنة، الذي لا يعرف إلا السكر والمجون واللعب بالكلاب والقرود.

فبعاشوراء عرف الناس معالم دينهم، وبعاشوراء حفظت حرمة الإسلام، وبعاشوراء وحد الله سبحانه وتعالى حق توحيده، وبعاشوراء أقيمت الصلاة وبقيت الفرائض، وبعاشوراء افتضح أرباب الفسق وانكشف أهل الريب والنفاق، وبعاشوراء حفظت حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن تنتهك من قبل الشجرة الملعونة في القرآن.

ولو أننا بقينا نعدد فوائد ذلك اليوم لما وقف بنا الحال عند حد معين، فما زالت السنين تمر وفي كل يوم يتضح معنى جديد من معاني عظمة ذلك اليوم، وفي كل يوم يخرج علينا باحث ودارس يكشف الجديد مما غاب عن أقرانه الذين سبقوه، ولسوف لن تتوقف هذه الاكتشافات في يوم من الأيام، إلى أن يقوم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه فيكشف جوهر العظمة وسر الخلود لذلك اليوم الذي حير عقول العظماء والبسطاء على حد سواء.

وهذه العظمة وتلك الأهمية ليوم عاشوراء امتدت لتشمل كل ما يمت لهذا اليوم بصلة من قريب أو بعيد.

إنّ لهذه الزيارة العظيمة علاقة وثيقة وشبهاً كبيراً مع أصل واقعة عاشوراء.

فواقعة عاشوراء لم يزل أهل العلم وأرباب العقول وهم يكتشفون معنى جديداً من معانيها لم يكن مكتشفاً من قبل، وكذلك الحال بالنسبة لزيارة عاشوراء، فلم تزل الأقلام تكتب أسرارها وتبين عظيم مضامينها والى يوم الناس هذا لم تنفد جميع أسرارها ولا فنيت كل مضامينها، وستبقى الإنسانية تنتهل من مناهل هذه الزيارة العظيمة، ما دام للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذكر، وما دام ليوم عاشوراء وجود.

ولا تتوقف عظمة هذه الزيارة على مجرد ما تحويه من مضامين عالية وحقائق مهمة، بل قد ثبت بالنقل والتجربة إنّ لها آثاراً تكوينية عجيبة سواء في قضاء الحوائج ونيل المقاصد الدنيوية، أو في رفع الدرجات وحط السيئات في عالم الآخرة، وهو أمر قد ذكره الباحثون من قبل، وليس في ذلك غرابة ولا استكثار على زيارة اهتم بها الجليل من فوق سبع سماوات، واهتم بها أهل البيت عليهم السلام.

فقد روي عن صفوان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال له: «تعاهد هذه الزيارة وادع بهذا الدعاء وزر به فإني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ولا يخيبه؛ يا صفوان، وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام مضموناً بهذا الضمان عن الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام مضموناً بهذا الضمان والحسن عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله مضموناً بهذا الضمان ورسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام مضمونا بهذا الضمان وجبرئيل عن الله عز وجل مضموناً بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه عز وجل أن من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله ثم لا ينقلب عني خائباً، وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعتق من النار وشفعته في كل من شفع خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شهدت به ملائكة ملكوته على ذلك، ثم قال جبرئيل: يا رسول الله – إن الله – أرسلني إليك سروراً وبشرى لك، وسروراً وبشرى لعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك وشيعتكم إلى يوم البعث». (مصباح المتهجد:٧٨١)

ثم قال صفوان: قال لي أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: «يا صفوان إذا حدث لك إلى الله حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت وادع بهذا الدعاء وسل ربك حاجتك تأتك من الله، والله غير مخلف وعده ورسوله صلى الله عليه وآله بمنه والحمد لله...». (مصباح المتهجد:٧٨٢)

فزيارة عاشوراء ليست كباقي كلامهم المعتاد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن كان كل كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نوراً وحكمة وموعظة، إلا أن

هذه الزيارة لها سنخية الأحاديث القدسية التي أوحى الله سبحانه بها إلى جبرائيل ونزل بها جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأودعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلفائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم أفيضت من قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى شيعتهم شأنها شأن باقي العلوم التي لولاهم لما اطلع على حقيقتها أحد من العالمين.

وزيارة عاشوراء على وفق تلك الضمانات التي تقدمت في حديث صفوان السابق لو أردنا أن نشبهها بباقي أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث قوة النقل والإسناد لما كان لها شبه إلا بما يعرف بحديث سلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه. (أمالي الصدوق:٣٠٥)

ففي كلتا الروايتين ينقل فيهما الإمام الرواية عن الإمام الذي قبله وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ينقلون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل وجبرائيل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، فإذا كان حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه إنما سمي بحديث سلسلة الذهب لانّ رواته هم من بمنزلة الإمام عن الإمام عن النبي عن جبرائيل عن الله سبحانه، فحقيق على كل منصف أن يسمي زيارة عاشوراء بزيارة سلسلة الذهب لنفس العلة ولاتحاد الملاك في كلتا الحالتين.

ثم إنّ أهمية كون زيارة عاشوراء حديثاً قدسياً هو صدق مضامينها وما احتوت عليه من وقائع، سواء الوقائع الكونية، أو الوقائع التاريخية، لان كلام الله عز وجل صادق لا يتخلف ولا يحتمل الكذب، وهو أمر بديهي عند كل المسلمين لا يحتاج بيانه إلى البرهان.

وفي كون مضامينها صادقة لا تحتمل الكذب خدمة كبيرة للموغل بحثاً في أعماق التاريخ، فالحقيقة التي ينشدها كل الأحرار في العالم موجودة في طيات هذه الزيارة، لان الباحث المنصف طالما عانى وما زال يعاني من المجاملة التي تحيط بالنص التاريخي، فالنص التاريخي كما هو معروف سواء في أثناء تدوينه وكتابته في المراحل الأولى، أو في أثناء نقله إلى الغير جيلاً بعد جيل، قد تعرض إلى التشويه والتشويش والاضطراب لأسباب جمة ودواعٍ مختلفة من الترغيب والترهيب، مما أدى في كثير من الأحيان إلى ضياع أصل الحقيقة ومجيء صورة أخرى لا تمت بصلة إلى تلك الحقيقة.

فلو تعارض النص التاريخي المتداول بين أيدي الناس مع مضمون فقرات الزيارة ومفرداتها، فلا يمكن حينئذ أن نرفع اليد عن الزيارة بحجة أنّ التاريخ - الذي قد عرفت حاله - لا ينسجم مع تلك الزيارة أو بعض فقراتها.

بل في حال التعارض بين فقرات الزيارة الشريفة وما بين النص التاريخي، لابد وأن نقدم نص الزيارة وما احتوته من معلومة على ذلك النص التاريخي المتعارض، وذلك لانّ زيارة عاشوراء كلام قدسي صادر من أعلى سلطة تكوينية وتشريعية في هذا الكون وهو الله سبحانه، والذي يعلم كل خافية وكل صغيرة وكبيرة في هذا العالم، فلا يمكن والحال هذه أن يتسرب إلى إخباراته الكذب بحال من الأحوال، بعكس النص التاريخي الذي ثبت بالتحقيق تعرضه لكثير من حالات الكذب والتزوير والإخفاء العمدي أو السهوي لكثير من تفاصيله وحيثياته وبالخصوص التي تحدثت عن ظلامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسوء ما واجهتهم به الأمة ولزمن طويل.

فإذا ما أراد كل باحث عن الحق أن يتعرف على حقيقة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية من دون رتوش أو مجاملات فما عليه إلا أن يمعن الفكر والنظر في ما احتوته زيارة عاشوراء من حقائق، لأنها قد حكت لنا الواقع بما هو، وبما ينبغي على المؤرخ المنصف أن ينقله.

سلام عاشور حسن

كربلاء أرض كرب وبلاء

ما زلنا نقول إنّ المناسبات هي الفرص الطيبة الرائعة للشعر، ولكن كم هي المناسبات الكريمة التي تمكن الشاعر أن يكون فيها فياض الشعور دافق الأحاسيس ليمثل أفراح اُمته وأحزانها.

هنا يظهر موقف الشاعر جلياً فإذا كان ذا ثقافة واسعة وكان قوي الأسلوب، وكان ذا عاطفة صادقة اتخذ المناسبة طريقاً للتعبير عما في نفسه وإلاّ تخاذل وانهار واجتر قول السابقين، وظهر شعره نظماً تافهاً ركيكاً.

ولذلك فليست كل المناسبات ممقوتة ولا كل شعر المناسبات شعر مزدرى وإنّما هناك مناسبات كريمة تحرك في الشاعر ومضات فكرية وتثير فيه دفقات شعرية وتزيد الأدب ابتكاراً وتجديداً في النظم، فتهتز مشاعر وتطرب لها قلوب.

ومن تلك المناسبات ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام بما تحمله من دروس عالية، وعظات صادقة، جدير لنا أن نستلهمها ونقتبس منها ونتمثلها في سلوكنا وأخلاقنا مع إطلالة كل عام تقرع فيه أجراس كربلاء من جديد.

فتتجدد ذكرى هذه المناسبة المفجعة، وتلتهب المشاعر وتستثار القرائح وتفيض العواطف، والمهم هو توظيف هذا المخزون الهائل من التراجيديا البشرية الهائلة في سبيل تطبيق أهداف كربلاء، وتحقيق المثل الأسمى الذي استشهد من أجله الإمام السبط، وقلّما يتهيأ ذلك التوظيف إلاّ لمن يمتلك الرؤيا الواضحة للثورة الحسينية المبنية على أسس منطقية وعلمية، وفي ذلك سلوة روحية ينتفع بها كل من يدرس التاريخ ليتأثر بحوادثه ويسترشد بوقائعه ويتأدب بعبره وعظاته.

ومن يمتلك تلك الرؤية يتجلى له بكل وضوح سر النهضة الحسينية كما يبدو له جلياً فرادة قائدها الحسين الرائد فيكتشف فيه أنه ليس أداة ولا تفجيراً لها ولا علاقة بل هو الثورة ذاتها والنهضة ذاتها، وقد امتلكت الزمان والمكان لا أن يمتكاها.

وقد يتوهم البعض في أن تذكرنا لهذه المناسبة شعورنا بأن الحسين فقيد، فنتبارى في صياغة القريض بكاءً عليه وتخفيفاً من مصيبته، والحق إن الحسين رمزنا الخالد، بل نبض الحياة الأعلى الذي لم يهن ولم يحزن، والحسين موزع جراح أبدي القصد والكلام والبكاء طقوس من إفراز الإنسان مريحة جميلة مفجرة، والحسين إفراز سماوي وأرضي يستدعي تعرفه جيداً والمثول أمامه بجدارة ليس الخلاص على إيفاء الحسين حقه العظيم بل الخلاص في صياغة الأنفس صياغة جيدة بحجم الحسين وحجم حضوره.

لأنه حضور، ليس الخلاص في كيفية التعرف على الحسين بل الخلاص في التعرف على أنفسنا بالحسين الذي هو فيها، وهذا ما دأب عليه الشعراء من أبناء هذا العصر فأبرزوا من خلال قصائدهم الحسينية في هذه المجموعة والمجاميع الأخرى التي ستليها، مساراً جديداً في أدب الطف بدفعه لحالة من السمو والانطلاق كيما يتحد اللهب العاطفي بالنضج الفكري اللاهب.

فمن كربلاء الاستلهام، وإليه يلقي الشاعر كلماته، وفي طياتها يكتب ما في روحه التي ترف فوق هذه البقعة المباركة، التي ضمت جسد أطهر إنسان على الأرض، وقد طهّره الله تعالى من الرجس.

محمد سعيد الطريحي

الحسين عليه السلام وعيـــالـــه أُمَّـــة

ليس من السهل الوقوف بشكل دقيق على الحكمة التي اقتضتها مشيئة الله تعالى في إخراج عيال حجة الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض المعركة التي كانت نتائجها العسكرية قطعية عند الإمام الحسين عليه السلام وهي استشهاده مع جميع أبنائه وأبناء عمومته وأصحابه ومن ثم سبي هؤلاء النسوة.

فأصبح أمر الوقوف على هذه الحكمة أقرب إلى المستحيل لاسيما ونحن نتعامل مع أدق القضايا الغيبية التي ارتبطت بدين الإسلام هذا الدين الذي أحاطت به خصائص خاصة جعلته الدين الذي ارتضاه الله لرسله وأنبيائه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾. [آل عمران:١٩]

وهو خير دين أُخرج للناس بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...﴾.[آل عمران:١١٠]

فقد نلمس بعمق أن قضية عاشوراء من أدق القضايا الغيبية المرتبطة بالله تعالى وبرسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أننا نستطيع أن ندور في فلك هذه القضية ونقترب من نواتها الحكمية مرة أو نبعد مرة أخرى، وذلك بحسب الآثار التي حققتها خروج النساء والأطفال مع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة

إنّ أول هذه الآثار التي حققها وجود النساء والأطفال في كربلاء والتي من خلالها تظهر بعض جوانب الحكمة في إخراجهن إلى أرض الطفوف هو: أن الإمام الحسين عليه السلام أراد بيان حقيقة مفادها: أنه امتداد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأن الله تعالى جعل فيه من السنن ما جعل في أنبيائه من إشراك ذريتهم في الاصطفاء لحفظ شريعة الله تعالى.

وقد تجلى هذا الأثر جلياً حينما خرج علي الأكبر عليه السلام فقد أرخى الإمام الحسين عليه السلام عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد: «ما لك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبحك على فراشك»، ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال: «اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، اللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنه أبداً فإنهم دعونا ينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا». (بحار الأنوار:٤٥/٤٣)

ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[آل عمران:٣٣-٣٤]

فقد احتج عليه السلام بكتاب الله تعالى وبيّن لهم أنه وولده امتداد للأنبياء عليهم السلام فضلاً عن اصطفائهم على العالمين وأنهم ذرية بعضها من بعض ومن ثم فهم بذلك يكونون قد اعتدوا على جميع الأنبياء وأجرموا في حقهم وانتهكوا حرماتهم.

الأثر الثاني: هواية القلوب للذرية

يعرض القرآن الكريم شاهداً آخر من فلسفة وجود عنصري المرأة والأطفال في حياة الأنبياء، ودفاعهم عن شريعة الله حتى يكاد القرآن لا يجعل فاصلة بين تضحية الأنبياء بأنفسهم عن تضحيتهم بنسائهم وأبنائهم في حفظ الشريعة كما حصل لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أخرج زوجته وولده الرضيع نبي الله إسماعيل إلى وادٍ غير ذي زرع يحف بهم الخطر من كل جانب فضلاً عن فقدان ضروريات الحياة والبقاء كالماء والمأوى قال تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.[إبراهيم:٣٧]

فالآية المباركة تكشف جانباً من الحكمة في إخراج إبراهيم الخليل عليه السلام لعياله على قلة عددهم فيما لو قيسوا مع عيال الإمام الحسين عليه السلام فشتّان بين أن يكون المعصوم عليه السلام مأموراً من الله تعالى بحمل امرأة واحدة وولد واحد كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي خرج بزوجته هاجر وولدها الرضيع نبي الله إسماعيل عليه السلام، وإخراجهم من بيت المقدس إلى أرض مكة عند بيت الله الحرام، وبين إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعشر من أخواته وخمس من بناته وأزواجه الثلاث فهؤلاء ثماني عشرة امرأة بين فتاة في الرابعة من عمرها وبين عقيلة في السادسة والخمسين فضلاً عن مجموعة من الإماء اللاتي خرجن مع عقائل النبوة وبنات الوحي، ومن لحق بهن من نساء أصحاب الإمام الحسين عليه السلام اللاتي توقفت معاناة السبي لديهن في الكوفة حينما جاءت كل قبيلة فأخرجت نساءها من بين قافلة الهاشميات.

فتظهر الآية المباركة التي تتحدث عن إخراج إبراهيم الخليل لذريته وإيداعهم في أرض قاحلة جانباً من الحكمة في هذا الخروج الذي ورثه ولده الحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي تلازم معه في الدلالة والأثر مع الفارق في المصائب والخطوب والرزايا التي ألمت بابن إبراهيم الحسين عليه السلام وبين ولده إسماعيل.

فعلى الرغم من توحد المصداق في فداء بيت الله الحرام بين نبي الله إسماعيل وحجة الله الحسين عليه السلام إلا أن المذبوح هو الحسين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمفدى هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لا عن تفاوت في الشأنية بين رياضة الحبيب وولد الخليل وإنما لعظم البلاء الذي لا يتحمله قلب إبراهيم ورقّ له قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الممدوح بالذكر الحكيم: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.[النجم:١١]

وأما الأثر في هذا الخروج الإبراهيمي والحسيني فهو إقامة الصلاة بقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. [إبراهيم:٣٧]

وحينما كانت الغاية إقامة الصلاة بدلالتها البنائية

لا الأدائية كانت الهواية القلبية مقرونة بالذرية وهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل المسلم اللبيب لا يحتاج دليلاً أو بياناً لمعرفة الشخص الذي تهوي إليه الأفئدة أهو إسماعيل بن هاجر أم الحسين ابن فاطمة عليهم السلام.

أم تراه لا يجد التشخيص بين رضيع إبراهيم المسقى بماء زمزم أم رضيع الحسين المسقى من دم الوريد فهذا الخروج لعيال الحسين كذا الخروج لعيال إبراهيم لكنما الأفئدة تهوي لآل الطفوف.

الأثر الثالث: إنّ الحسين وعياله خير أُمَّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لعل المرء يتوقف متأمّلاً في هذا الأثر الذي حققه إخراج الحسين عليه السلام لعياله إلى أرض المعركة، ألا وهو كونهم من أهم الأدوات التي عملت على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طول الدهر.

إذ يقتصر دور المرأة غالباً في الاهتمام بشؤون الأسرة وإن سنح لها المجال ببعض الوقت وهي في خضم تلك المسؤوليات أن تمارس هذا الدور في الأسرة من خلال تنشئة أبنائها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي لا يتعدى في هذه الحال عن مجموعة من الأوامر والنواهي والمرغبات والمحذرات عن القيام ببعض الأعمال أو ترك بعض الأفعال للأبناء دون أن تلفظ المرأة هذه المفردات وأعني (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في مسامع أبنائها.

والعلة في ذاك محصورة بين رؤية الأم أو الأب لتصرفات الأبناء ضمن نطاق الحسن والقبح ومدلولاتهما التربوية والأخلاقية.

لكن في أرض الطف نلمس نوعاً جديداً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يظهر في المجتمع الإسلامي الذي أصبح فيه المسلم يرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ذلك المجتمع الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حاله حينما توجه إلى أصحابه قائلاً: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر». فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: «نعم، وشر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف». فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: «نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً». (الكافي:٥/٥٩)

فقد لزم أن تكون هناك أدوات فاعلة ومؤثرة تحيي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصحح الأذهان في تشخيصها للمعروف والمنكر فتأمر بالأول وتنهي عن الثاني.

فلذا نجد أن سيد الشهداء عليه السلام حينما خرج بعياله قد أشركهم في الهدف من هذا الخروج وأدخلهم في الغاية من تحركه فقال عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر». (بحار الأنوار:٤٤/٣٢٩)

فكانوا مصداق قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ... ﴾.[آل عمران:١١٠]

ولعل حينما نستعرض تاريخ الأُمم ومسيرة الأديان لا نجد أمة كالحسين وعياله قد خرجت وأُخرجت للناس، قد قدّمت أرواحها ودماءها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالكيفية التي جرت في عاشوراء وبالصورة التي شهدتها أرض كربلاء.

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام (أُمة قانتاً لله)، فكيف لا يكون الحسين وعياله عليهم السلام أُمة.

عبد الله أحمد السماوي

الإمام الحسين عليه السلام سـرّ الخلـود

إنّ في تاريخ الحسين عليه السلام إشعاعاً لمن أراد المعرفة والأمل، فقد حمل للناس الحب.. والأمل.. والقوة.

الحب للخير في سبيل الإنسان.. الأمل في مستقبل الفرد ورفعه إلى الأفضل.. القوة اتجاه المبدأ وجهادٌ للحق ضد الباطل.. الحب.. والأمل.. والقوة.

عناصر تشع منها أنوار متصلة بنور الله.. تشع منها شمس الهداية الإلهية.. ويستضيء بها الناس ويشرق بها المجتمع.

استميحك عذراً سيدي أبا عبد الله.. وأنا أبحر في عالمك السرمدي الذي هو أسمى وأنقى من هذا العالم المادي الملوث بالنفاق والمجون والضلالة.

سيدي أبا الأحرار.. عشقتك قبل هذا الوجود.. عشقتك وأنا نطفة في الأصلاب، توضأت بنورك الأزلي وصليت صلاة العاشقين في محراب عظمتك ووقفت وقفة المتأمل أمام سر خلودك الأبدي، كان حبك يأخذ بيدي نحو شواطئ الحرية والأمان والدفء والتوحيد والإخلاص.

سافرت مع نورك المتوهج بالإيمان والصفاء، كان قلبي يتلهف شوقاً لرؤيتك والتقرب منك؛ لأرسم قبلة حب على جبينك الوضاء.

سيدي أيها الإمام المعصوم المقدس المليء بالعظمة والخلود والنقاء.. لقد كانت صورتك مرسومة في قلبي قبل آلاف السنين، كنت أُبصرك بقلبي وعقلي قبل عيني، وكان حبك يتدفق في عروقي قبل أن تلدني أمي، وقبل أن أكون طفلاً في هذا العالم.

سيدي أيها الضمير الثائر.. يا صوت كل المستضعفين في هذا الوجود، ويا رمز كل الشهداء والشرفاء.. إن مطر السماء تمتصه الأرض، ويتبخر بحرارة الشمس أما قطرة الدم فهي خالدة مادامت السماوات والأرضون.. لقد انتصر دمك وانهزم السيف الذي أراد إن يطفئ نورك وسناك قال تبارك وتعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.[التوبة:٣٢]

سيدي أبا الشهداء.. أيها النور الرسالي.. بك ما زالت تستنير العقول والضمائر الحية، فأنت الهادي لقوافل المؤمنين وركائبهم السائرة في طريق التوحيد والوثبة والفداء.

سيدي أيها الشهيد السعيد.. أسافر كل يوم على أجنحة الشوق والحنين لأغتسل بفيض ضوئك المنبعث من عليين ولأتضوع بعطرك النقي ولأُسْعَد وأهنأ بلقائك المشوق الذي طالما انتظرته وحلمت به.. مردداً بيني وبين نفسي أنشودتي الخالدة:

لـو سـفكوا يـا سـيدي دمائي
وبعـثروهـا في الـثرى أشـلائي
مـا غـيروا في نهجك انتمائي
لأنـنـي ثـابـت في ولائـي
وهمتي أقوى من الأعداء

سيدي أيها الدم المنتصر.. هذا هو التاريخ يقف اليوم وقفة المتأمل أمام عظمتك وسر خلودك مستنهضاً فيك المبادئ من جديد مخلداً ومعيداً ملحمتك الكبرى ملحمة انتصار الدم على السيف.

فسلام عليك يوم ولدت ويوم استشهد ويوم تبعث حيّاً.

عبد السادة الحداد

الــولايـــة وحـفـظ الــديــن

من المعالم المهمّة التي استعرضتها الآيات القرآنية في قصّة آدم هي الولاية والخلافة الإلهية، فالتوحيد في العبادة لا يكون إلاّ بالانصياع والتذلّل لخليفة الله تعالى المنصوب من قبله عزّ وجلّ.

فإبليس الذي استكبر على الخلافة والإمامة في الأرض كافر بنصّ القرآن الكريم، والملائكة الذين خضعوا وسجدوا لخليفة الله تعالى موحّدون في العبادة.

فالإمامة معلم من معالم توحيد الله تعالى في الطاعة، والمطيع والخاضع لوليّ الله ووسيلته، هو الموحّد الحقيقي، وبذلك يكون الكون بأجمعه مأموراً بالطاعة والانقياد لمقام الخلافة والإمامة في الأرض، بما فيهم كبار الملائكة المقرّبين، حيث أخذ الله عزّ وجلّ الولاية للإمام والخليفة على جميع الملائكة، فمن يأبى ذلك يندرج تحت قوله تعالى: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. [البقرة:٣٤]

ولا شكّ أن الإيمان بهذه العقيدة من مختصّات المذهب الإمامي، الذي آمن بأن السبب المتّصل بين الأرض والسماء لم ينقطع بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأن الولاية الفعلية لله تعالى والحاكمية السياسية والقضائية والتنفيذية والتشريعية، ما زالت قائمة بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فولاية الله تعالى في تدبير النظام الاجتماعي بشكل مطلق غير معطّلة.

لذلك فإنّ إنكار الواسطة المنصوبة من الله عزّ وجلّ هو ما قام به إبليس، حيث يدّعي التوحيد في العبادة، لكن باطن دعواه الشرك، فلابدّ أن يُلتفت إلى أن العبادة في جوهرها وروحها ليست بهيئة السجود أو الركوع أو تحريك اللسان أو بالقصد إلى بيت الله الحرام فيما إذا كان المكلّف يحمل في طيّات نفسه الإباء والاستكبار على ربّه، فإنّ هذا هو محطّ الكفر والصنمية والفرعنة.

حفظ كتاب الله الكريم بيد الإمام فقط

إنَّ امتناع الإحاطة بالقرآن الكريم ليس ممتنعاً على المفسّر البشر على صعيد المراتب الغيبية فحسب، بل الأمر كذلك في الإحاطة المحكمة بالمصحف وظاهر القرآن أيضاً، حيث لا يمكن ولا يتسنّى لبشر أن يحيط به؛ وذلك لأنّ الآيات القرآنية تقرب من سبعة آلاف آية إلاّ بقليل، وكل آية تحتوي على جمل عديدة كل جملة منها بمثابة المعادلة العلمية، فإذا أردنا إحصاء المعادلات العلمية في القرآن الكريم لبلغت عشرات الآلاف من المعادلات، ثم النسبة بين المعادلات العلمية يتصاعد ضريبه إلى عدد يخرج عن قدرة العقل البشري أن يحيط به، مع أنَّ موازنة

هذه النسب والتناسبات دخيلة في استخراج المراد والمعنى المقصود في الآيات، فكيف لعالم فيلسوف أو متكلم أو عارف مرتاض أو لعالم باحث أن يدعي الإحاطة بكل هذه المعادلات والنسب بينها، إلاّ الذين شهد لهم القرآن أنهم يمسُّون الكتاب.

فإذا لم يمكن للبشر الإحاطة التامة بظواهر كلمات القرآن، فكيف يمكن ادعاء الإحاطة به بدون الاستعانة بحديث أهل البيت عليهم السلام؟!

وربما يتساءل بأن لازم ذلك تعطيل الكتاب والقرآن وإبهامه عن الفهم بالمرة من رأس؟

إنَّ شأن القرآن الكريم كشأن العلوم الأخرى، فعلماء الرياضيات لايحيطون بكل أبعاد هذا العلم، بل ليس ما توصلوا إليه في علوم الهندسة و الرياضيات إلا كقطرة في محيطات بحور هذا العلم، ومن ثم بشهادة كل وجدان عاقل لن يقف الطريق أمام البشرية لاكتشاف أسرار الرياضيات مهما تواصلت جهودهم، حيث المسيرة العلمية لأبحاث البشر لا يمكن أن تقف، ومع ذلك كله فإنه لا يدعو لتعطيل العمل بالمقدار المعلوم.

ومن ثم أجمعت الإمامية المحقة على أنَّ الحافظ للمصحف لا يمكن أن تكون قدرة حسه بقدرة سائر البشر؛ لأنَّ قدرة الحس محدودة ولا تحيط بأمر وحياني، فالمصحف الكريم لا يمكن أن يظل وحيانياً بقدرة التواتر الحسي للمسلمين، بل لابد أن تكون هناك قدرة وحيانية تحفظ الوحي، وإلا لعاد تنزيل المصحف كتاباً تاريخياً بشرياً، وهذا ما امتازت به الإمامية عن كافة المسلمين بل حتى عن اليهود والنصارى، فكل إجماع للبشر لاقيمة له بدون الإمام؛ لأن حسهم يتطرق إليه آلاف الآفات والأخطاء، وتنزيل المصحف ككتاب وحياني لا مجرد صيانة حسية صرفة، بل... ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[الحجر:٩]

الراسخون في العلم

إنّنا نجد القرآن الكريم يرجع تأويل معانيه إلى الراسخين في العلم، وذلك في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾.[آل عمران:٧]

وكذلك قوله عزّ من قائل: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾.[العنكبوت: ٤٩]

فهناك روايات عديدة وردت في تأويل هاتين الآيتين:

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال: «لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلاَّ وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَمَا مِنْهُ حَرْفٌ إِلاَّ وَإِنَّ لَهُ تَأْوِيلٌ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الرَّاسِخُونَ نَحْنُ آلَ مُحَمَّدٍ وَأَمَرَ اللهُ سَائِرَ الأُمَّةِ أَنْ يَقُولُوا ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ وَأَنْ يُسَلِّمُوا لَنَا [وَيَرُدُّوا عِلْمَهُ إِلَيْنَا] وَقَدْ قَالَ اللهُ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَطْلُبُونَهُ».(كتاب سليم بن قيس:٢/٧٧١)

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وَسَلُونِي عَنِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ بَيَانَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِيهِ عِلْمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَدَعْ لِقَائِلٍ مَقَالاً؛ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، لَيْسُوا بِوَاحِدٍ، رَسُولُ اللهِ مِنْهُمْ، أَعْلَمَهُ اللهُ إِيَّاهُ فَعَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ لاَ يَزَالُ فِي عَقِبِنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (كتاب سليم بن قيس:٢/٩٤٢)

وعَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ «مَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلاَّ وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ»، فَقَالَ: «ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كَمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الأَحْيَاءِ قَالَ اللهُ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، نَحْنُ نَعْلَمُهُ».(بصائر الدرجات:١/١٩٧)

فهذه الروايات وكثيرة الروايات المتواترة في حق أهل

البيت عليهم السلام أنّهم هم الراسخون في العلم، وتأويل القرآن لديهم.

ولا يخفى أنّ الآية الثانية من الآيات الدالة على معيّة الثقلين وعدم افتراقهما.

قيل في تفسير قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: هم الأئمة عليهم السلام، وقوله ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما يجحد بأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام إلاّ الظّالمُونَ وقال عزّ وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْعَذَابِ﴾، يعني قريشاً فقال الله تعالى ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ

الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.(تفسير القمي:٢/١٥١)

وعَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ قَوْلُ اللهِ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قَالَ عليه السلام: «إِيَّانَا عَنَى».(بصائر الدرجات:١/٢٠٤)

وقال يزيد بن معاوية لأبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ متسائلاً: أَنْتُمْ هُمْ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا».(الكافي:١/٢١٤)

ثم إنَّ إرجاع تأويل القرآن وتبيانه إلى الثقل الآخر يتجلّى لنا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. [القيامة:١٩]

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[]

ففي كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية جاء: «﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ فَنَحْنُ أَهْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَرَسُولُ اللهِ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُ، بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُنَا أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْوَلَايَةِ وَالْمِيرَاثِ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾».(الغارات:١/١٢٠)

وغيرها من الآيات، فهي مسؤولية لا يقوم بها إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ينصبه الله تعالى لذلك، فهي مسؤولية السماء حيث الكتاب سماوي، ومسؤولية الغيب؛ لأنه كتاب غيبي.

ثم إنَّ معظم هذا الحبل متصاعد إلى الله وليس أمره بيد الناس، وإن كان طرفٌ يسيرٌ منه بيد الناس، ومقام العندية لله الذي للطرف الآخر فهو إنما يمسه المطهرون أهل البيت.

فمن ثم كان تبيانه وتأويله عندهم وهو شطر لا متناهٍ كما وصف القرآن نفسه أنّه لا متناهٍ، لا ككتب البشر الأرضية المتناهية.

الشيخ محمد السند

فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين

هذا العصر براهنه السياسي والاجتماعي ليس بدعاً من العصور.

ليس خارج مسار السنن الحتمية.

وهو بعد مفصل يجري على أهله ما جرى في المنعطفات الحادة على قوم نمرود، وفرعون، على عاد، وثمود، وأهل مدين وغيرهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾. [الفرقان:٣٧-٣٩]

لقد امتاز هذا العصر عما سواه، بميزتين فارقتين:

الميزة الأولى: عالمية الفساد والإفساد.

والأخرى: الاستكبار والتفرعن.

وأنه يشهد يوم الفصل الدنيوي، في مقابل يوم الفصل في الحياة الآخرة.

وما بعد يوم الفصل في الدنيا، مغاير لما قبله، ولن يتكرر بعده ما استؤنف بعد طوفان نوح.

فلن تشهد الأرض بعد طوفان هذا الفصل فراعنة، ولا أباطرة، أو قياصرة، أو أكاسرة.

قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾. [القصص:٥-٦]

يوم الفصل الذي نلامس أبوابه، يوم دفن طواغيت تحريف الإسلام؛ المتمظهرين بالإدارة الغير إسلامية، والإدارة المعادية للإسلام العالمية، وربيبتهما الوهابية التكفيرية الأموية.

كان الوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن، والذي أخبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بخطره وسوء الطوية والعاقبة يهودياً تستّر بالأموية، ينسق التحالف الأموي اليهودي ضد الإسلام.

إنّ التحالف اليهودي الغربي ضد الإسلام والمسلمين والدين الحق المتمثّل بالوهابية التكفيرية أصبحوا في جبهة واحدة، وقد بدءوا بالهجمات الشرسة على الشيعة والتشيّع.

إنّ ثقافة التكفيريين هي (ثقافة) الفساد في المحور الواحد وهو: التسلط، والمال، والمجون، وتجارة الرقيق الأبيض والأسود.

وركيزة هذه الثقافة هو: القتل المعنوي والمادي، لا يستقيمان إلا بالفتنة، فإنّهم وحوش بشكل البشر، ﴿ ...إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾. [الفرقان:٤٤]

فهم كيان واحد، بعض ذئابه أتباع آل أبي سفيان وهند آكلة الأكباد، وهم أحفاد بني أمية ومن قاتل الحسين عليه السلام في صحراء كربلاء، يوم عاشوراء.

فهم أحفاد ابن زياد وعمر بن سعد وشمر ويزيد عليهم لعائن الله.

فقد أخذ المسلمون وبالأخص الطائفة الشيعية موضعاً في الجبهة المقابلة لهذا العدوّ اللدود للإسلام عامة، وللتشيّع خاصّة، فزاد منعة وعزماً وعزّة في مقابل العدو المهزوم، بمقدار ما تعافى جسده من غدة سرطانية باسم الوهابية التكفيرية المهزومة، من فيح الورم السرطاني الخبيث (الشيطان).

فهناك قضية حتمية لابدّ منها وتندرج في مبدأ ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾. [الفتح:٢٣]؛ وهو استئصال المفسدين في الأرض، والمستقبل المشرق الواعد للمستضعفين.

يتنفس صبح ما بعد طوفان هذا الفصل الأخير، عن فجر «وعد الله الذي ضمنه»، فجر («السبب المتصل بين الأرض والسماء»، «المهدي المنتظر» في مستهل قيامه «إظهار الدين على الدين كله»، لتخفق على أربع رياح الأرض بيارق العدل والتوحيد والحرية من نير الطواغيت.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [يونس:١٠٢-١٠٣]

الشيخ الكوراني

غيبة الإمام المهدي عليه السلام رحمة إلهية

إنّ أهم قضيّة في الوسط الاجتماعي هي قضية الإمام المهدي عليه السلام وقد نجد من الأبحاث والدراسات ما شاء الله في ذلك.

وذلك لما لها من دور في إقامة العدل والسلام في أرجاء المعمورة بعد انتشار الظلم والفساد والجور.

وقال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.[القصص:٥]

وقد جاءت الروايات الشريفة تؤكّد وجود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال: «...الْمَهْدِيُ مِنْ وُلْدِي، اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلْقاً، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ حَتَّى تَضِلَّ الْخَلْقُ عَنْ أَدْيَانِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُقْبِلُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً».(الإمامة والتبصرة من الحيرة:١٢٠)

فمن هنا نجد أنّ العلماء والمفكرين والباحثين والمحققين ألفّوا الكتب والدراسات المختلفة في هذا المجال.

وقد أخرج علماء الحديث وأصحاب الموسوعات الحديثية الكثير من الأحاديث الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام والمروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد أفردوا لذلك أبواباً خاصة.

إنّ أطروحة الإمام المهدي عليه السلام من أهم الأطروحات الإسلامية ذات الأبعاد المتعدّدة، كالعقائدية والفكرية والثقافية والتاريخية والاجتماعية وغير ذلك.

وقد أضاء القرآن الكريم هذه المسألة بأروع بيان، والمهمة ذاتها ينهض بها النص الروائي، إذ ثمّة عدد وافر من روايات الفريقين استوفت المسألة من جميع جوانبها.

وإلى هذا الأساس اعتقد المسلمون منذ فجر الرسالة على اليوم، بظهور رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه المهدي يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، يحقق فيه الرفاه وتخيم فيه السعادة وترتفع فيه المظالم ويعم السلام الحقيقي الكامل في كل أرجاء المعمورة.

ومن المواضيع المهمة في الإمام المهدي عليه السلام هي قضية غيبته عليه السلام لأنّها لم تكن حالة مألوفة عند المسلمين آنذاك.

لذا تعد الغيبة من الحالات الاستثنائية في الإسلام وكذلك في حياة المسلمين؛ ذلك لأنّ فترة الغيبة تختلف عن زمان وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمان حضور الأئمة عليهم السلام بين الناس وفي المجتمع الإسلامي.

وكذلك تختلف عن زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام لوجود القائد والموجه بين أشياعه وأتباعه ويتعاطى معهم

بشكل مباشر.

وعلى هذا الاساس فقد تطرأ على بعض الأذهان أسئلة وإشكالات حيال مسألة الغيبة منها:

- لماذا الغيبة؟
- لماذا طالت غيبة الإمام عليه السلام بهذا المقدار؟
- متى الظهور المقدس؟
- لماذا غاب الإمام عليه السلام وهو ابن الخامسة؟
- ما فوائد غيبة الإمام عليه السلام؟
- ما وظيفة الشيعة في زمن الغيبة؟
- كيف يمكننا الاستعداد للظهور؟

وهناك الكثير من الأسئلة لا يسعنا المجال لذكرها.

فليس هناك أمر إلا وفيه حكمة إلهية قد جعلها الله لنا، ولا نعلم الحكمة منها أبداً، فالعلوم كلها عند الله والراسخين في العلم وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

إنّ الشريعة التي جاء بها الدين الإسلامي ما هي إلا خطّة إلهية عدت بإحكام، ووضعت من أجل ترشيد المجتمع البشري نحو الأصلح والأقوم، وبلوغ السعادة في الدارين.

وقد وعد الله تعالى البشرية أن يسودها العدل والأمان في الأرض.

قال تعالى: ﴿...لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾.[التوبة:٣٣]

وقال عزّ وجل أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. [القصص:٥]

إلاّ أنّ تحقق هذا الهدف على أرض الواقع يتوقف على توفّر شرائطه التي شاء الله عزّ وجل بحكمته أن تكون من طرقها الطبيعية، وضمن ما هو المألوف، لا بشكل إعجازي وخارق لما هو المعتاد.

وحيث إنّ الله تعالى لحكمته ولطفه بعباده قد نصّب أولياء هداة معصومين، ويمثلون امتداداً طبيعياً للرسالة المحمّدية، فهم أمناء الوحي والرسالة، وحجّة الله على العباد، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أوّلهم الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، وآخرهم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد ثبت ذلك مسبقاً بمقتضى عدد وافر من الآيات القرآنية، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية التطهير، وآيات البلاغ في الغدير، وآية المودة في القربى، وآية الفيء وغيرها من الآيات الكريمة، مضافاً إلى عدد كبير جداً من الأحاديث النبوية التي رويت من كلا الفريقين، كحديث الثقلين المتواتر الذي مفاده أنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفترقوا عن القرآن حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحوض.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال: «...أَلَا وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُ قَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، أَلَا فَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِمَا فَقَدْ نَجَا وَمَنْ خَالَفَهُمَا فَقَدْ هَلَكَ».(تفسير القمي:١/١٧٢)

فكما أنّ القرآن باقٍ إلى يوم القيامة كذلك أهل البيت عليهم السلام.

وكحديث الخلفاء الاثني عشر (كلهم من قريش).

فعن ابن مسعود عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «يكون بعدي من الخلفاء عدة نقباء بني إسرائيل اثنا عشر خليفة؛ كلهم من قريش».(إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات:٢/٢٨٤)

وحديث السفينة.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال: «إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِي أُمَّتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَكَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ».(كتاب سليم بن قيس:٢/٥٦٠)

وكذلك حديث أهل بيتي عليهم السلام أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض، وأتاهم ما يوعدون.

فَعَنْ سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ فَالْأَئِمَّةُ بَعْدَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ! قَالَ: «نَعَمْ الْأَئِمَّةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ أُمَنَاءُ مَعْصُومُونَ وَمِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَلَا إِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونَنِي فِيهِمْ لَا أَنَالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي».(كفاية الأثر:٢٩)

وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض.

وكذلك وردت أحاديث في وجود الإمام بين الناس لحفظهم من نزول البلاء عليهم.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَوْ بَقِيَتِ الأَرْضُ يَوْماً وَاحداً بلاَ إِمَامٍ منَّا لَسَاخَت الأَرْضُ بأَهْلهَا، وَلَعَذَّبَهُمُ الله بأَشَدِّ عَذَابِه، وَذَلكَ أَنَّ الله جَعَلَنَا حُجَّةً في أَرْضه وَأَمَاناً في الأَرْض لأَهْل الأَرْض، لَنْ يَزَالُوا بأَمَانٍ منْ أَنْ تَسيخَ بهمُ الأَرْضُ مَا دُمْنَا بَيْنَ أَظْهُرهمْ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّه أَنْ يُهْلكَهُمْ، ثُمَّ لاَ يُمْهلَهُمْ، وَلاَ يُنْظرَهُمْ، ذَهَبَ بنَا منْ بَيْنهمْ، ثُمَّ يَفْعَلُ الله تَعَالَى بهمْ مَا يَشَاءُ».(دلائل الإمامة:٤٣٦)

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: («إنَّ خُلَفَائي وَأَوْصيَائي وَحُجَجَ الله عَلَى الْخَلْق بَعْدي اثْنَا عَشَرَ أَوَّلُهُمْ أَخي وَآخرُهُمْ وَلَدي»، قيلَ: يَا رَسُولَ الله وَمَنْ أَخُوكَ؟ قَالَ: «عَليُّ ابْنُ أَبي طَالبٍ»، قيلَ: فَمَنْ وَلَدُكَ؟ قَالَ: «الْمَهْدي»).(كمال الدين وتمام النعمة:١/٢٨٠)

وشاءت الإرادة الإلهية أن يكون الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الأئمة الهداة مصلحاً للبشرية، ومحققاً للهدف النهائي، والثمرة الكبيرة والمرجوة من رسالات السماء وبعث الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[الحديد:٢٥]

إذن فلابد بحسب التخطيط الإلهي من إقامة العدل، والسلام في العالم، بعد انتشار الظلم والجور والفساد في ربوع الأرض وأرجائها، وهو ما نشاهده ونراه بالحس والعيان في كل حدب وصوب.

وهذا ما يتطابق مع ما تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «تُمْلأُ الأَرْضُ ظُلْماً وَجَوْراً فَيَقُومُ رَجُلٌ منْ عتْرَتي فَيَمْلَأُهَا قسْطاً وَعَدْلاً يَمْلكُ سَبْعاً أَوْ تسْعاً».(كشف الغمة:٢/٤٦٨)

فكما أنّ الأرض ملئت وستملأ بالجور والفساد والظلم، لابد لها من يوم تملأ فيه عدلاً وقسطاً، على يد الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إلاّ أنّ النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ تحقق هذا الهدف، وهو إقامة العدل والقسط في الأرض، يتوقف على توفر شرائطه التي أراد الله تعالى بحكمته أن تكون من الطريق الطبيعي لا الإعجازي.

وهذا ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾.[الأنفال:٣٧]

وقال تعالى: ﴿...لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[الأنفال:٤٢]

وقال عزّ وجل: ﴿...وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[آل عمران:١٥٤]

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.[آل عمران:١٤٠-١٤٢]

وغير ذلك من الآيات المباركة التي تكشف عن أنّ التخطيط الإلهي لجريان السنن في هذا العالم مبنيّ على السير الطبيعي للبشرية، وكذلك مبنيّ على استعداد البشرية لهذا التخطيط.

إلاّ في الظروف الخاصة والاستثنائية، التي تقتضي فيها الحكمة الإلهية إنجاز الهدف والوصول إليه عن طريق الإعجاز وخرق المعتاد، وذلك كإثبات أصل نبوة الأنبياء مثلاً.

وإقامة العدل على هذه الأرض جاء ضمن ذلك الإطار، فلكي يتحقق على أرض الواقع ويحين أجله، لابد من اكتمال جميع شرائطه، وعلى ضوء ذلك كانت غيبة إمامنا المهدي روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء جزءاً من هذا التخطيط والحكمة الإلهية، من أجل أن تكتمل باقي الشرائط لظهور الحق وإقامة العدل، تلك الشرائط التي يتحقق معظمها في أحضان الغيبة، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في روايات عديدة من كتب الفريقين:

فقد أخرج الأربلي، (عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبيِّه صلى الله عليه وآله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله قَدْ عَرَفْنَا اللَّه وَرَسُولَهُ، فَمَنْ أُولُو الأَمْر منْكُمْ الَّذينَ قَرَنَ اللَّه طَاعَتَهُمْ بطَاعَتكَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «خُلَفَائي وَأَئمَّةُ الْمُسْلمينَ بَعْدي أَوَّلُهُمْ عَليُّ بْنُ أَبي طَالب ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ الْمَعْرُوفُ بالتوراة [في التَّوْرَاة] بالْبَاقر وَسَتُدْرِكُهُ يَا جَابرُ فَإِذَا لَقيتَهُ فَأَقْرئْهُ منّي السَّلاَمَ ثُمَّ الصَّادقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ثُمَّ عَليُّ ابْنُ

مُوسَى ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ سَمِيِّي وَكَنِيِّي حُجَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَنفسه [بَقِيَّتُهُ] فِي عِبَادِهِ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ذَلِكَ الَّذِي يَفْتَحُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى يَدِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ذَلِكَ الَّذِي يَغِيبُ عَنْ شِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ غَيْبَةً لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ»، قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَهَلْ لِشِيعَتِهِ الانْتِفَاعُ بِهِ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ لَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ إِنْ سَتَرَهَا سَحَابٌ، يَا جَابِرُ هَذَا مِنْ مَكْنُونِ سِرِّ اللهِ وَمَخْزُونِ عِلْمِ اللهِ فَاكْتُمْهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ»). (كفاية الأثر:٥٤)

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: (سَمِعْتُ سَلْمَانَ [المحمدي] يَقُولُ: كُنْتُ جَالِساً بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَدَخَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام فَلَمَّا رَأَتْ مَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الضَّعْفِ خَنَقَتْهَا الْعَبْرَةُ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهَا عَلَى خَدَّيْهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «يَا بُنَيَّةِ مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَخْشَى عَلَى نَفْسِي وَوُلْدِي الضَّيْعَةَ مِنْ بَعْدِكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ: «يَا فَاطِمَةُ أَوَ مَا عَلِمْتِ أَنَّا أَهْلَ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنَّهُ حَتَمَ الْفَنَاءَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ اطِّلَاعَةً فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ فَجَعَلَنِي نَبِيّاً ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ ثَانِيَةً فَاخْتَارَ بَعْلَكِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكِ إِيَّاهُ وَأَنْ أَتَّخِذَهُ أَخاً وَوَزِيراً وَوَصِيّاً وَأَنْ أَجْعَلَهُ خَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي فَأَبُوكِ خَيْرُ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَبَعْلُكِ خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَأَنْتِ أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِي ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ اطِّلَاعَةً ثَالِثَةً فَاخْتَارَكِ وَأَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ وُلْدِكِ وَوُلْدِ أَخِي بَعْلِكِ مِنْكِ فَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَابْنَاكِ [الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ] سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَا وَأَخِي وَالْأَحَدَ عَشَرَ إِمَاماً أَوْصِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّهُمْ هَادُونَ مَهْدِيُّونَ أَوَّلُ الْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ أَخِي الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ [تِسْعَةٌ مِنْ] وُلْدِ الْحُسَيْنِ فِي مَنْزِلٍ وَاحِدٍ فِي الْجَنَّةِ وَلَيْسَ مَنْزِلٌ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ مِنْ [مَنْزِلِي ثُمَّ] [وَ] مَنْزِلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ أَمَا تَعْلَمِينَ يَا بُنَيَّةِ أَنَّ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ إِيَّاكِ أَنْ زَوَّجَكِ خَيْرَ أُمَّتِي وَخَيْرَ أَهْلِ بَيْتِي أَقْدَمَهُمْ سِلْماً وَأَعْظَمَهُمْ حِلْماً وَأَكْثَرَهُمْ عِلْماً وَأَكْرَمَهُمْ نَفْساً وَأَصْدَقَهُمْ لِسَاناً وَأَشْجَعَهُمْ قَلْباً وَأَجْوَدَهُمْ كَفّاً وَأَزْهَدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَشَدَّهُمْ اجْتِهَاداً»، فَاسْتَبْشَرَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام بِمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَفَرِحَتْ». (كتاب سليم بن قيس:٢/٥٦٥)

وقد روي هذا الحديث بالتواتر عند الفريقين، في المعجم الكبير والأوسط، ومجمع الزوائد، والمعجم الصغير، وينابيع المودة، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

وعن سلمان المحمدي أيضاً قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: «أَنَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَخَيْرُهُمْ وَوَصِيِّي خَيْرُ الْوَصِيِّينَ وَوَزِيرِي بَعْدِي خَيْرُ الْوُزَرَاءِ وَشَهِيدُنَا خَيْرُ الشُّهَدَاءِ [أَعْنِي حَمْزَةَ عَمِّي]»، قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَكَ؟»، قَالَ: «لَا بَلْ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [ذُو الْهِجْرَتَيْنِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ الْمُضَرَّجَيْنِ] يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ وَابْنَاكِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَا أُمَّتِي [وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ] وَمِنَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي يَمْلَأُ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»). (كتاب سليم بن قيس:٢/٥٦٧)

وغير ذلك من الروايات الدالة على ضرورة الغيبة، من أجل اكتمال شرائط الظهور، وإقامة العدل والقسط، وذلك من خلال تخطي البشرية لمراحل عديدة من التمحيص والفتن والحيرة، والابتلاء.

وهذا ما أقر به أبناء العامة في سلسلة أحاديث متواترة، فمما روي عن الألباني أنه قال: (فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم إلاّ القليل منهم اتخذهم الناس رؤوساً! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلاّ بعد أن يوحّد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، الله أعلم به). (سلسلة الأحاديث الصحيحة:٤/٤٢)

الشيخ علي حمود

جدد الأحزان في العشرين من صفر

منذ أن التقى الإمام زين العابدين عليه السلام في كربلاء بالصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري أصبحت كربلاء قبلة للزوار في يوم العشرين من صفر وهو أربعين الإمام الحسين عليه السلام يؤمّها الملايين من المسلمين من الكثير من البلدان العربية والإسلامية إضافة إلى العراق.

وليوم الأربعين بعد الوفاة أهمية من قبل أهل الفقيد حيث يقومون بإسداء البرّ إليه وعدّ مزاياه، في عقد مجلس تأبيني يدوّن تخليداً لذكراه.

ولم تقتصر هذه المناسبة على الإسلام، فهي قديمة كانت تقام لدى الديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية والحضارات القديمة كالسومرية والبابلية.

فالحداد على الميت أربعين يوماً طريقة مألوفة وعادة متوارثة بين الناس وفي اليوم الأربعين من وفاته يقام على قبره تأبين يحضره أقاربه وخاصته وأصدقاؤه.

فالنصارى يقيمون حفلة تأبينية على الميت بعد أربعين يوماً من وفاة فقيدهم، يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنازة، ويفعلون ذلك في نصف السنة وعند تمامها إعادة لذكراه وتنويهاً به وبآثاره وأعماله.

وقد اعتنى الإسلام بهذه العادة. فقد رويت أحاديث شريفة في قدسية العدد أربعين منها ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب في شهادة الإمام علي عليه السلام عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يَا أَبَا ذَرّ، إِنّ الأَرْض لَتَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً». (أمالي الطوسي: ٥٣٥)

خصوصية الشعائر الحسينية في الأربعين الحسيني

تأتي خصوصية إقامة الشعائر الحسينية في يوم أربعين الإمام الحسين عليه السلام المصادف في العشرين من صفر كونها تشكّل إحياء لنهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية وتعاليمه الأخلاقية ومبادئه النبوية.

فإنّ قضية سيد الشهداء هي التي ميّزت بين دعوة الحق والباطل، ولولا نهضة الحسين عليه السلام ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الأموي لكاد الإسلام أن يندثر.

فقد نبّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه الشريف: «حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ». (كامل الزيارات: ٥٢)

وما قام به الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الإصلاحية كان امتداداً لدعوة الرسول لنشر الإسلام وهو عليه السلام الامتداد الطبيعي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وتأتي خصوصيتها أيضاً في استذكار الفاجعة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء وما صاحبها من المآسي والآلام وتعريف الناس بجور بني أمية وأذنابهم.

فقال الإمام عليه السلام في خطبة له: «...إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ وَبِنَا

فَتَحَ اللهُ وبنا خَتَمَ اللهُ؛ وَيزيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ شاربُ الْخَمْرِ قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعلنٌ بِالْفِسْقِ؛ وَمِثْلي لا يُبايعُ مِثْلَهُ وَلَكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحُونَ وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرُونَ أَيُّنَا أَحَقُّ بِالْبَيْعَةِ وَالْخِلافَةِ». (بحار الأنوار: ٤٤/٣٢٥)

كما تتزامن إقامة الشعائر الحسينية في يوم الأربعين مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر كما جاء في الروايات، ويسمى هذا اليوم في العراق (مَرَدّ الرأس) فتقام الشعائر استذكاراً لهذه الحادثة الأليمة فتتجدد الأحزان.

جابر مع الإمام السجاد عليه السلام

تواترت الروايات على أنّ السبايا بعد أن أخرجوهم من الشام توجهوا إلى كربلاء فوصلوها يوم العشرين من صفر، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي، ومعه جماعة من الشيعة قد توافدوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فالتقى ركب السبايا معهم وأقاموا البكاء والنحيب.

وقد نصّت على ذلك العديد من الكتب المعتبرة، فقد جاء في وصف الرحلة من الشام إلى المدينة: (قالت السيدة زينب عليها السلام للدليل: لو عرّجت بنا على كربلاء؟ فأجاب الدليل محزوناً: أفعل؛ ومضى بهم حتى أشرفوا على ساحة المعركة، وكان قد مضى على المذبحة يومئذ أربعون يوماً، وما تزال الأرض ملطّخة ببقع من دماء الشهداء، فناحت النوائح وأقمن هناك ثلاثة أيام، لم تهدأ لهنّ لوعة ولم ترقأ لهن دمعة ثم أخذ الركب المنهك طريقه إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم). (موسوعة آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ٧٤٧)

فجاء في الخبر: (لَمَّا رَجَعَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَعِيالُهُ مِنَ الشَّامِ وَبَلَغُوا الْعِراقَ قالُوا لِلدَّلِيلِ: مُرَّ بِنَا عَلى طَرِيقِ كَرْبَلاءَ؟ فَوَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْمَصْرَعِ، فَوَجَدُوا جابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصارِيَّ رَحِمَهُ اللهُ وَجَماعَةً مِنْ بَني هاشِم وَرِجالاً مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ وَرَدُوا لِزِيارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَوافَوْا في وَقْتٍ واحِدٍ وَتَلاقَوْا بِالْبُكاءِ وَالْحُزْنِ وَاللَّطْمِ وَأَقامُوا الْمَآتِمَ الْمُقْرِحَةَ لِلأَكْبادِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ نِساءُ ذلِكَ السَّوادِ فَأَقامُوا عَلى ذلِكَ أَيّاماً». (اللهوف على قتلى الطفوف: ١٩٦)

أمّا قصة جابر بن عبد الله الأنصاري فتتلخص في أنه بعد أن علم بمقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام توجّه من المدينة المنورة نحو أرض كربلاء، وكان قد كفّ بصره؛ يقول عطية العوفي (وكان مع جابر): (عندما وصلنا إلى الغاضرية على شاطئ نهر الفرات، اغتسل جابر في شريعتها ولبس أطهر ثيابه، ثم فتح صرّة فيها سعد، وهو نوع من الطيب؛ فنشرها على بدنه ثم لم يخطُ خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه يا عطية. فألمستُهُ إيّاه، فخرّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه من الماء، فلمّا أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حَبيبٌ لا يُجيبُ حَبيبَهُ، ثُمَّ قالَ: وَأَنّى لَكَ بِالْجَوابِ، وَقَدْ شُحِطَتْ أَوْداجُكَ عَلى أَثْباجِكَ، وَفُرِّقَ بَيْنَ بَدَنِكَ وَرَأْسِكَ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَابْنُ سَيِّدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنُ حَليفِ التَّقْوى، وَسَليلُ الْهُدى، وَخامِسُ أَصْحابِ الْكِساءِ، وَابْنُ سَيِّدِ النُّقَباءِ، وَابْنُ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّساءِ، وَما لَكَ لا تَكُونُ هكَذا وَقَدْ غَذَّتْكَ كَفُّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَرُبِّيتَ في حَجْرِ الْمُتَّقِينَ، وَرَضَعْتَ مِنْ ثَدْيِ الإِيمانِ، وَفُطِمْتَ بِالإِسْلامِ، فَطِبْتَ حَيّاً، وَطِبْتَ مَيِّتاً؛ غَيْرَ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ طَيِّبَةٍ لِفِراقِكَ، وَلا شاكَّةٍ في الْخِيَرَةِ لَكَ، فَعَلَيْكَ سَلامُ اللهِ وَرِضْوانُهُ؛ ثُمَّ جالَ بَصَرُهُ حَوْلَ الْقَبْرِ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا الأَرْواحُ الَّتي حَلَّتْ بِفِناءِ الْحُسَيْنِ، وَأَناخَتْ بِرَحْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتُمُ الْمُلْحِدِينَ، وَعَبَدْتُمُ اللهَ حَتّى أَتاكُمُ الْيَقِينُ، وَالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، لَقَدْ شارَكْناكُمْ فيما دَخَلْتُمْ فيهِ. قالَ عَطِيَّةُ: فَقُلْتُ لَهُ: يا جابِرُ كَيْفَ وَلَمْ نَهْبِطْ وادِياً، وَلَمْ نَعْلُ جَبَلاً، وَلَمْ

نَضْربْ بِسَيْف، وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُؤُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَأُوتِمَتْ أَوْلادُهُمْ وَأُرْمِلَتْ أَزْوَاجُهُمْ؟ فَقَالَ: يَا عَطِيَّةُ سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللّه صلى اللّه عليه وآله يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِي عَمَلِهِمْ»، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً إِنَّ نِيَّتِي وَنِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَأَصْحَابُه؛ وقال: يَا عَطِيَّةُ هَلْ أُوصِيكَ وَمَا أَظُنُّ أَنَّنِي بَعْدَ هَذِهِ السَّفْرَةِ مُلاقِيكَ، أَحْبِبْ مُحِبَّ آلِ مُحَمَّد صلى اللّه عليه وآله مَا أَحَبَّهُمْ وَأَبْغِضْ مُبْغِضَ آلِ مُحَمَّد مَا أَبْغَضَهُمْ وَإِنْ كَانَ صَوَّاماً قَوَّاماً، وَارْفُقْ بِمُحِبِّ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد فَإِنَّهُ إِنْ تَزِلَّ لَهُ قَدَمٌ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ثَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى بِمَحَبَّتِهِمْ فَإِنَّ مُحِبَّهُمْ يَعُودُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمُبْغِضَهُمْ يَعُودُ إِلَى النَّارِ. (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ٢/ ٧٤)

كان يزيد (لعنه الله) قد أمر برد سبايا الحسين عليه السلام إلى المدينة، وأرسل معهم النعمان بن بشير الأنصاري في جماعة، فلما بلغوا العراق قالوا للدليل: مُر بنا على طريق كربلاء؛ وكان جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجال من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام.

قال عطيّة: فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من ناحية الشام، فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام، فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره، قال: فمضى العبد، فما كان بأسرع من أن رجع وهو يوقول: يا جابر قمْ واستقبل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من الإمام زين العابدين فقال الإمام: «أنت جابر؟»، فقال: نعم يا بن رسول الله، فقال: «يا جابر ها هنا والله قُتلت رجالنا وذُبحت أطفالنا وسُبيت نساؤنا وحرقت خيامنا». (أعيان الشيعة: ١/ ٦١٧)

ومنذ ذلك اليوم العشرين من صفر، أصبح هذا التاريخ مشهوداً، تتوافر فيه الملايين من الزائرين إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة.

الأربعين في أقوال الأئمة عليهم السلام

وردت روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في خصوصية يوم الأربعين وفضل زيارة الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، فعن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «يَا زُرَارَةُ إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالدَّمِ، وَإِنَّ الأَرْضَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالسَّوَادِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالْكُسُوفِ وَالْحُمْرَةِ، وَإِنَّ الْجِبَالَ تَقَطَّعَتْ وَانْتَثَرَتْ، وَإِنَّ الْبِحَارَ تَفَجَّرَتْ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَمَا اخْتَضَبَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ وَلا ادَّهَنَتْ وَلا اكْتَحَلَتْ، وَلا رَجَّلَتْ حَتَّى أَتَانَا رَأْسُ عُبَيْدِ اللّه بْنِ زِيَادٍ وَمَا زِلْنَا فِي عَبْرَةٍ بَعْدَهُ». (كامل الزيارات: ٨١)

أمّا زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين فقد ورد الكثير من الأحاديث عن الأئمة عليهم السلام في فضلها، منها ما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «عَلامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ صَلاةُ الإِحْدَى وَالْخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ». (المزار: ٥٢)

أمّا الزيارة المشهورة في يوم الأربعين والمعروفة بـ(الأربعينية) فقد رويت على روايتين، الرواية الأولى رواها صفوان الجمال عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقال: قال لي مولاي الصادق تزور الحسين عند ارتفاع النهار وتقول: «السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ اللّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلامُ عَلَى خَلِيلِ اللّهِ وَنَجِيبِهِ، السَّلامُ عَلَى صَفِيِّ اللّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ... فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ». (تهذيب الأحكام: ٦/ ١١٣)

أمّا الرواية الثانية فقد رويت عن عطاء عن جابر ابن عبد الله الأنصاري، التي مرّ ذكرها آنفاً.

محمد طاهر

زيارة الأربعين

جاءت تسمية الزيارة بزيارة الأربعين لأنّ وقتها يوم العشرين من صفر، وذلك لأربعين يوماً مضى من مقتل أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

وفي هذا اليوم كان رجوع حرم الإمام الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة.

وجاء في بعض الكتب أنّهم وصلوا إلى كربلاء في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر.

وفي هذا اليوم ردت رؤوس أهل البيت عليهم السلام إلى الأجساد الشريفة.

وكذلك هو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حزام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فكان أول من زاره من الناس.

تعتبر زيارة سيد شباب أهل الجنة في الأربعين من علامات المؤمن، وفي حديث شريف للإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليهما وآلهما تحضر الزوار لقبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم».

وعن الإمام أبي محمد العسكري عليهما السلام قال: «علامات المؤمن خمس؛ صلاة الإحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان نموذجاً عملياً للاقتدار في كل زمان ومكان، ورسالة لتحرير الإنسان من الظلم والاستبداد.

في محرم الحرام ترك الإمام الحسين عليه السلام الدنيا بجسده، لكنه بقي فيها روحاً وفكراً ومنهجاً ودرباً يعبره السائرون نحو الملكوت الأعلى.

إنّ إحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام هو إحياء لتلك القيم النيرة التي رسخها الإمام الحسين عليه السلام في ثورته، والتي كان الهدف منها مقلع جذور الظلم والكفر والطغيان والجهل والفساد.

محمد رزاق صالح

استشهاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

روي عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «سَمِعْتُ أَبي يَقُولُ: لَمَّا كَانَ قَبْلَ وَفَاةِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ثَلاثَةِ أَيَّامٍ هَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَاماً وَتَفْضِيلًا لَكَ وَخَاصَّةً يَسْأَلُكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَجِدُنِي يَا جَبْرَئِيلُ مَغْمُوماً وَأَجِدُنِي يَا جَبْرَئِيلُ مَكْرُوباً.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ هَبَطَ جَبْرَئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُمَا مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ فِي الْهَوَاءِ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فَسَبَقَهُمْ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَاماً لَكَ وَتَفْضِيلًا لَكَ وَخَاصَّةً يَسْأَلُكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: أَجِدُنِي يَا جَبْرَئِيلُ مَغْمُوماً وَأَجِدُنِي يَا جَبْرَئِيلُ مَكْرُوباً.

فَاسْتَأْذَنَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: يَا أَحْمَدُ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ لَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ وَلا يَسْتَأْذِنُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ، قَالَ: ائْذَنْ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ جَبْرَئِيلُ فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِيمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَمَرْتَنِي بِقَبْضِ نَفْسِكَ قَبَضْتُهَا وَإِنْ كَرِهْتَ تَرَكْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَتَفْعَلُ ذَلِكَ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ! قَالَ: نَعَمْ بِذَلِكَ أُمِرْتُ أَنْ أُطِيعَكَ فِيمَا تَأْمُرُنِي، فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَائِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ». (أمالي الصدوق:٢٧٥)

وروي في المناقب عن ابن عباس: إنّه أغمي على النبي صلى الله عليه وآله في مرضه، فدق بابه، فقالت فاطمة عليها السلام: «من ذا؟»، قال: أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذنون لي في الدخول عليه؟ فأجابت: «إمض رحمك الله [لحاجتك]، فرسول الله عنك مشغول».

فمضى ثم رجع، فدق الباب، وقال: غريب يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذنون للغرباء؟ فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله من غشيته وقال: «يا فاطمة أتدرين من هذا؟»، قالت: «لا يا رسول الله»، قال: «هذا مفرّق الجماعات، ومنغص اللذات، هذا ملك الموت، ما استأذن والله على أحد قبلي، ولا يستأذن على أحد بعدي، استأذن عليّ لكرامتي على الله ائذني له»، فقالت: «ادخل رحمك الله».

فدخل كريح هفافة وقال: السلام على أهل بيت رسول الله، فأوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام بالصبر عن الدنيا، وبحفظ فاطمة عليها السلام، وبجمع القرآن، وبقضاء دينه وبغسله، وأن يعمل حول قبره حائطاً، ويحفظ الحسن والحسين عليهما السلام. (الأنوار البهية)

وروي عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله غشي عليه فأخذت بقدميه أقبلهما وأبكي فأفاق وأنا

أقول: من لي ولولدي بعدك يا رسول الله؟ فرفع رأسه، وقال: «الله بعدي ووصيي صالح المؤمنين».

وفي رواية الصدوق عن ابن عباس: فجاء الحسن والحسين عليهما السلام، يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأراد علي عليه السلام أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: «يا علي دعني أشمهما ويشماني وأتزود منهما ويتزودان مني، أما إنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً، فلعنة الله على من يظلمهما». (مفاتيح الجنان الشيخ القمي)

وقال الطبرسي وغيره ما ملخصه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال لملك الموت: «امض لما أمرت له»، فقال جبرائيل: يا محمد هذا آخر نزولي إلى الدنيا إنما كنت أنت حاجتي منها، فقال له: «يا حبيبي جبرائيل أدن مني»، فدنا منه. فكان جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وملك الموت قابض لروحه المقدسة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره. (الاحتجاج للشيخ الطبرسي)

قال الراوي: وصاحت فاطمة عليها السلام، وصاح المسلمون وهم يضعون التراب على رؤوسهم.

قال الشيخ في التهذيب: قُبض [بالمدينة] مسموماً يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء الخضر عليه السلام فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سُجّي بثوب، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاءً من كل مصيبة، ودركاً من كل ما فات، فتوكلوا عليه، وثقوا به واستغفر الله لي ولكم).

وأهل البيت يسمعون كلامه ولا يرونه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هذا أخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم».

إنّ تأثير مصيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم السلام كان عظيماً جدّاً حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: «فنزل بي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام والقول والاستماع، وسائر الناس من غير بني عبد المطلب بين معزٍّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باكٍ لبكائهم، جازع لجزعهم، وحملت نفسي على الصبر عند وفاته، بلزوم الصمت والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه، وتغسيله وتحنيطه، وتكفينه، والصلاة عليه، ووضعه في حفرته، وجمع كتاب الله وعهده إلى خلقه، لا يشغلني عن ذلك بادر دمعة، ولا هائج زفرة ولا جزيل مصيبة حتى أديت في ذلك الحق الواجب لله عزّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله عليّ، وبلغت منه الذي أمرني به، واحتملته صابراً محتسباً».

فعن أنس بن مالك قال: لمّا فرغنا من دفن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أتت إليّ فاطمة عليها السلام فقالت: «كيف طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التّراب على وجه رسول الله»، ثمّ بكت وقالت: «يا أَبَتاهُ أجابَ رَبّاً دَعاهُ يا أَبَتاهُ مِنْ رَبِّهِ ما أَدْناهُ يا أبتاه إلى جبريل ننعاه».

وعلى رواية معتبرة أنّها أخذت كفّاً من تراب قبره صلى الله عليه وآله وسلم الطّاهر وقالت:

مـاذا عَـلـى الْمُـشْـتَمِّ تُـرْبَـةَ اَحْـمَـد
أَنْ لا يَـشَـمَّ الـزَّمـانِ غَـوالِـيا
صُـبَّـتْ عَـلَـيَّ مَـصـائـبُ لَـوْ أَنَّـهـا
صُـبَّـتْ عَـلَـى الأَيّـام صِـرْنَ لَـيالِـيا
قُـلْ لِـلْـمُـغـيَّـبِ تَحْـتَ أَثْـواب الـثَّرى
إِنْ كُـنْـتَ تَـسْـمَـعُ صَـرْخَـتي وَنِدائـيا
قَـدْ كُـنْـتُ ذاتَ حِـمـىً بِـظِـلِّ مُـحَـمَّـد
لا أَخْـشَـى مِـنْ ضَـيْـم وَكـانَ حِـمـالِـيا
فَـالْـيَـوْمَ أَخْـضَـعُ لِـلـذَّلـيـلِ وَاَتَّـقـي
ضَـيْـمـي وَأَدْفَـعُ ظـالِـمـي بِـرِدائـيا
فَـإذا بَـكَـتْ قُـمْـرِيَّـةٌ في لَيْـلِـها شَـجَـنـاً
عَـلـى غُـصْـنٍ بَـكَـيْـتُ صَـبـاحِـيا
فَـلأَجْـعَـلَـنَّ الْـحُـزْنَ بَـعْـدَكَ مُـونِـسـي
وَلأَجْـعَـلَـنَّ الـدَّمْـعَ فيـكَ وِشـاحِـيا

(أمالي الصدوق)

حسين راضي الحسيني

التسامح في منهج الإمام عليٍّ عليه السلام

التسامح لغة

سامَحَ: (فعل)، وسامحَ يسامح، مُسامَحةً، فهو مُسامِح، والمفعول مُسامَح؛ وسَامَحَهُ بِذَنْبِه أي: عَفَا عَنْهُ؛ وقيل: سَامَحَهُ اللّهُ أي: غَفَرَ لَهُ؛ وقيل أيضاً: وافَقَهُ على مطلوبه؛ وسامَحك اللّه: دعاء معناه أرجو من الله أن يعفو عنك وقد يستخدم في العتاب. وسامِح: فاعل من سَمَحَ، ليَسمَح، سَمْحًا وسماحًا وسماحةً، فهو سامِح، والمفعول مسموحٌ له؛ سَمَح الشَّخصُ أي: لان وسهُل، وقيل انقاد بعد استصعاب، وجاء وأعطى عن كرم وسخاء. وعنده سماحة نَفْس أي: عنده كرم وسخاء، رَحِمَ اللّه رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى. وسمَح له بحاجة أي: وافق عليها، ويسّرها له، وقيل: يجيز له. ولا سمَح اللّه: دعاء معناه أرجو ألاّ يسمح الله بحدوث ذلك الأمر، معاذ اللّه، حاشا؛ ومسموح به أي: مُباح له. وسَمَحَ لِنَفْسِه أَنْ يَشْتُمَهُ أي: أَعْطَى الحَقَّ لِنَفْسِه، تَجَرَّأَ؛ لَنْ يَسْمَحَ لأَحَدٍ بِالاقْتِرَابِ مِنْهُ أي: لَنْ يَأْذَنَ، وَلَنْ يَتْرُكَ؛ وإِذَا سَمَحْتَ يُمْكِنُ أَنْ أَطْرَحَ سُؤَالاً أي: إِذَا قَبِلْتَ، إِذَا وَافَقْتَ). (المعجم: الغني)

التسامح اصطلاحاً

يعتبر التّسامح أحد المبادئ الإنسانية والأخلاقية، وما نعنيه هنا هو مبدأ التّسامح الإنساني والأخلاقي.

كما أنّ التّسامح في دين الإسلام يعني نسيان الماضي المؤلم بكامل إرادتنا، وهو أيضاً التخلي عن رغبتنا في إيذاء الآخرين لأيّ سببٍ قد حدث في الماضي، وهو رغبة قويّة في أن نفتح أعيننا لرؤية مزايا النّاس بدلاً من أن نحكم عليهم ونحاكمهم أو ندين أحداً منهم.

والتّسامح أيضاً هو الشّعور بالرّحمة، والتّعاطف، والحنان، وكلّ هذا موجود في قلوبنا، ومهمٌّ لنا ولهذا العالم من حولنا.

والتسامح أيضاً أن تفتح قلبك، وأن لا يكون هناك شعور بالغضب ولا لوجود المشاعر السلبية لأيّ شخصٍ أمامك.

فبالتسامح تستطيع أن تعلم بأن جميع البشر يخطئون، ولا بأس بأن يخطئ الإنسان.

والتسامح في اللغة معناه أيضاً التّساهل؛ فبالتّسامح تكون لك نصف السعادة، وبالتّسامح تطلب من الخالق أن يسامحك ويغفر لك.

وبالتسامح تسامح أقرب الناس إليك؛ والديك وأبناءك وكل من أخطأ بحقك، كما أنّه ليس بالأمر السّهل إلاّ لمن يصل إليه فيسعد، ونعني بالتّسامح أيضاً أن تطلب السّماح من نفسك أوّلاً ومن الآخرين.

التسامح عند الإمام علي عليه السلام

يحتار المرء من أين يبدأ، عندما يحاول أن يكتب عن شخص له من الصفات نادراً ما تجتمع في إنسان قولاً وعملاً، كالصدق والعدل والشجاعة والكرم والتسامح والتواضع والإخلاص والبلاغة والقيادة.

فكل هذه الصفات قد تجسدت وتمثلت في شخصية الإمام علي عليه السلام.

فهناك التسامح والتواضع في منهج الإمام علي عليه السلام لعدة أسباب:

أولاً: البعد الروحي الإنساني الخاص

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يمتلك من تأثير فكري وبُعد روحي إنساني غنيّ قل نظيره، بالإضافة إلى ترجمته لهذا البُعد قولاً وعملاً على مستوى الواقع.

فتجده عليه السلام عطوفاً على الفقير، مدافعاً عن الحق، ناصراً للمظلوم، متواضعاً وحكيماً في المشورة؛ بالإضافة إلى أنّه شديد الغضب مع الظالم، ويقف بوجه الظلم.

ثانياً: الإمام علي عليه السلام رمز الإنسانية

إننا أحوج اليوم إلى لغة التسامح والتواضع الإنساني الذي تحول إلى عملة نادرة أمام ما نراه في واقع حياتنا اليومية نحن المسلمين.

فقد تناسينا رموزنا الإنسانية وفلسفتهم في التسامح والتواضع والتي أدت إلى مساهماتهم في صنع الحضارة

الإنسانية العظيمة، وتمسكنا بكل ما هو سطحي خالٍ من كل مضمون، ومتعالية مريضة مصابة بالأنانية والحقد والتكفير والتخوين حتى فقدنا بُعدنا الإنساني الذي كنا نباهي فيه الأمم.

ثالثاً: الإمام علي عليه السلام صاحب الروح العالية

إننا لا نـزال أمـام إشـكـاليـة تاريخية، لم نستطع التعامل معها بعلمية ومنهجية، وهي كيف ننتج سلوكاً منسجماً يعبر عن وعي فكري وخطاب أخلاقي إنساني يبرز هويتنا الحقيقية قولاً وعملاً؟

إنّ ما نلاحظه الآن، وجود شبه قطيعة بين المطروح من على منابر الوعظ وخطب الجمعة، وفي مناسباتنا ومراسيمنا، وبين السلوك الجمعي الذي يسعى من اجل سلطة أو ثروة أو هيمنة من خلال الإلغاء والاتهامات المتبادلة، وهذا ما أحدث فجوة ما بين الخطاب والنظرية وبين الواقع، وأدى إلى تهميش كل ما هو إنساني و إبداعي، رغم وجود كم هائل من التنظير والخطابات والأفكار.

وهذا يعكس مدى الفجوة الكبيرة بين الخطاب على مستوى التنظير، والواقع على مستوى السلوك، رغم ما نردده ونستحضره عن منهج الأئمة المعصومين، عليهم السلام، من أقوال وأحاديث وسيرة مضيئة، وأمير المؤمنين عليه السلام، خير دليل وقدوة لنا في ذلك، فقد كان الإمام علي عليه السلام يمثل رمزاً للإنسانية قبل أن يكون رمزاً للدين، فهو القائل: «وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا». (نهج البلاغة:٣٤٦)

فهنا قد بيّن الإمام سلام الله عليه أنّ الظلم ليس فقط أن أشهر السلاح بوجه شخص ما، بل الظلم يكون حتى في الكلام، والتصرفات الشخصية مع الآخرين.

فمن الممكن أن يظلم الإنسان أخاه بكلمة جارحة، أو من الممكن أن يظلم أخيه باتخاذ إجراء معيّن بحقّه.

وقوله عليه السلام: «من صارع الحق صرعه».(نهج البلاغة:٥٤٨)

وقوله عليه السلام أيضاً: «الاستغناء عن الغدر أعز من الصدق به».(نهج البلاغة:٥٣٣)

وقوله أيضاً: «خالطوا الناس مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم وإنْ عشتم أحسنوا إليكم».(نهج البلاغة:٤٧٠)

وهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي تحثّ على حب الإنسان لأخيه الإنسان، لا يسعنا المجال لذكرها، فنحن نحفظها ونتباهى بها، لكننا نتناساها في سلوكنا وتعاملاتنا اليومية.

كل هذه الأحاديث والحكم، ما هي إلاّ دليل على تأكيد الإمام علي عليه السلام، على حب فعل الخير والعمل والتواضع والتسامح وشعور إنساني عميق وعالٍ وسلوك متفانٍ في سبيل تحقيق العدل ما بين البشر، دون تمييز عرقي أو طائفي، فرسالته ذات طابع كوني تدعو إلى احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وتسامح الإنسان للإنسان، فللإنسان عند الإمام علي، قيمة عليا فضّله الله بها عن غيره من المخلوقات.

ومن شذرات السيرة العطرة لأمير المؤمنين عليه السلام، ما عُرف بتعامله مع (الخوارج)، وكيف أنه قابلهم باللين والسلم، رغم هزيمتهم في (النهروان).

فكان أحدهم يكفّر الإمام أمام مرأى ومسمع الناس، وآخر يقطع عليه صلاته بآية قرآنية تشكك في إيمان الإمام عليه السلام.. وهكذا، إلا أنه كان يعاملهم باللين والتسامح، في محاولة منه لتغيير قناعاتهم وإعادتهم إلى رشدهم.

لقد ابتعدنا عن هذا الفكر الإنساني والينبوع الذي لا ينضب من الحكمة والتسامح، فما أحوجنا اليوم إليه كي نعيد زرع بذور التسامح والتواضع.

لقد فقدنا الكثير من المشاعر الإنسانية الجميلة حتى صارت مجتمعاتنا تعيش على صراعات وعصبيات للقتل والفتنة والتخريب في ظل شعور واضح بلا مبالاة في كل شيء.

فكيف نؤسس أو نبدع معنى إنسانياً داخل وعينا الجمعي قولاً وعملاً نستطيع من خلاله إيجاد هويتنا الحضارية على مستوى الداخل والخارج، فهناك نقص واضح في إعادة تجديد ونتاج المعاني الإنسانية رغم كثرة المنابر والدعوة للتسامح والأخوة، لكن لم نستطع أن نبدع سلوكاً إنسانياً متسامحاً ومُحباً للحياة، كما علمنا أمير المؤمنين عليه السلام. فما زلنا ضحايا ثقافة لا تعرف إلى الموت.

إعداد: محمد رزاق صالح

منهج الإمام علي عليه السلام في القضاء

إنّ شخصيّة الإمام علي عليه السلام غنية عن التعريف والترجمة وحسبنا أنّه وليد الكعبة المشرفة، وقد ترعرع وربّي في منزل الوحي ونشأ في حجر خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين.

وتتلمذ للقرآن الكريم واستوحاه نصاً وروحاً، فأوتي الحكمة وفصل الخطاب من منبعه الثر وهو معجزة من معجزات الإسلام.

فقد جاء في الخبر عن محمد بن عمر الواقدي عن سهم بن أسلم: أنّ علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم كالعصا لموسى - على نبيّنا وآله وعليه السلام - وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم - على نبيّنا وآله وعليهما السلام -).(فهرست ابن النديم:١٤٤)

لما تملكه شخصيته عليه السلام الرحبة من عمق وغنى في مختلف أوجه الحياة البشرية والإبداع الحضاري والتأصيل العقائدي على مر العصور.

فإذا كان واقع شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكمن في فهمه لحقيقة الإسلام فاستوعبه عن وعي كامل وكان أقرب خلق الله تعالى إلى ينبوعه الذي ارتوى ونهل منه فصار ذلك الينبوع الصافي النمير يجري في كيانه قوياً دافقاً فتغلغل الإيمان عن وعي في قلبه الطاهر وعجن بلحمه ودمه فأضحى رجل الإسلام الذي لا تأخذه في الله لومة لائم وهو الصحابي الوحيد الذي قال قولته المشهورة «سلوني قبل أن تفقدوني». (الإصابة في معرفة الصحابة:٥٠٩/٢)

وحسبه منزلة ما قال أبو بكر مخاطباً الإمام عليه السلام: (لم تبق خصلة من خصال الخير إلاّ ولك فيها

سباقة). (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٣/٢٤٩)

فكل الخير منه عليه السلام، وكل الخصال الحسنة والحميدة منه صلوات الله وسلامه عليه، فهو الخير ومنه الخير وإليه الخير فهو السابق بالخيرات

ففي رواية عن أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْمَرْعَشِيِّ عَنْ سَوْرَةَ ابْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فَقَالَ عليه السلام: «السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الإِمَامُ». (بصائر الدرجات:١/٤٤)

وجاء في تفسير فرات الكوفي عَنْ غَالِبِ بْنِ عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ حَاجّاً فَمَرَرْتُ بِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، قَالَ: فَقَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «مَا يَقُولُ فِيهَا قَوْمُكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟»، يَعْنِي أَهْلَ الْكُوفَةِ، قُلْتُ: يَزْعُمُونَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ، قَالَ: فَقَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «فَمَا يَحْزُنُهُمْ إِذَا كَانُوا فِي الْجَنَّةِ؟»، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا الَّذِي تَقُولُ أَنْتَ فِيهَا؟ قَالَ: «يَا أَبَا إِسْحَاقَ هَذِهِ وَاللَّهِ لَنَا خَاصَّةً، أَمَّا [قَوْلُهُ] سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالرِّضْوَانُ] وَالشَّهِيدُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي فِيهِ مَا فِي النَّاسِ وَهُوَ مَغْفُورٌ لَهُ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَصَائِمٌ نَهَارَهُ وَقَائِمٌ لَيْلَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا إِسْحَاقَ بِنَا يُقِيلُ اللَّهُ عَثْرَتَكُمْ وَبِنَا يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ وَبِنَا يَقْضِي اللَّهُ دُيُونَكُمْ وَبِنَا يَفُكُّ اللَّهُ وَثَاقَ الذُّلِّ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَبِنَا يَخْتِمُ وَ[بِنَا] يَفْتَحُ لَا بِكُمْ وَنَحْنُ كَهْفُكُمْ كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَنَحْنُ سَفِينَتُكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ وَنَحْنُ بَابُ حِطَّتِكُمْ كَبَابِ حِطَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ». (تفسير فرات الكوفي:٣٤٨)

وما ورد عن عمر بن الخطاب قوله: (عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب). (ذخائر العقبى:٨٠)

فهذه الشهادة لا تنفع إذا كان ديدن الظالم أن يجلس مجلس غيره، وأن يترأس على زمام أمور المسلمين ويأمر وينهى على ما يريده، فهو بحق ظالم، فقد ظلم إمام زمانه، وظلم الناس بظلمه، فهو الذي سنّ سنّة سيّئة، في الإسلام.

والذي جاء في الحديث الشريف: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام:٥/٥٧٩)

فهو الذي سنّ سنّة ظلم آل محمد، وتجرأ على هتك حرمة بيت النبوة وحرمة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن لم تكن هناك باب أحرقها اللعين، لما أحرقوا خيام سيد الشهداء عليه السلام في عاشوراء.

وما جاء على لسان أعلام أهل السنة والجماعة كأحمد بن حنبل وغيره قوله: (ما لأحد من الصحابة من الفضائل مثل ما لعلي – عليه السلام –). (تاريخ الخلفاء:١٦٨)

أما في فضائل التي لا تحصى ولا تعد، فقد جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الروايات الكثيرة في فضله عليه السلام، فضلاً عن اعتراف وشهادة أعداء أمير المؤمنين عليه السلام بفضل ومناقبه.

فقال ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة: (ما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله). (شرح نهج البلاغة:١/١٣٥)

هذا فضلاً عن ما قام به أعداء أهل البيت عليهم السلام من طمس ومسح الأحاديث النبوية التي وردت في فضلهم عليهم السلام عامّة وفي فضل علي أمير المؤمنين عليه السلام خاصة، التي لم يكن عداوتهم مع أهل البيت عليهم السلام إلاّ بغضاً بعلي عليه السلام.

كما قالوا في كربلاء يوم العاشر من محرم الحرام سنة ستين للهجرة للإمام الحسين عليه السلام، حينما

حاججهم بقوله: («يَا وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونِي عَلَى سُنَّة بَدَّلْتُهَا؟ أَمْ عَلَى شَرِيعَة غَيَّرْتُهَا؟ أَمْ عَلَى جُرْم فَعَلْتُهُ؟ أَمْ عَلَى حَقّ تَرَكْتُهُ؟»، فقالوا له: إنا نقتلك بغضا لأبيك).(ينابيع المودة:٣/٨٠)

فهذا الحقد الأموي على أمير المؤمنين عليه السلام أدّى إلى عدم فهم علي عليه السلام، وعدم معرفة فضائله صلوات الله وسلامه عليه.

فبحكم علاقته عليه السلام الوثقى ببيت الرسالة المحمدية وما حباه الباري جلت قدرته من مكانة وسمو نجده عليه السلام قد تميّز بخصائص ومعطيات هو ابن بجدتها ولا غرابة في ذلك ما دام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد مثله بنفسه حيث قال في الحديث الشريف: «مَا مِنْ نَبِيّ إلاَّ وَلَهُ نَظِيرٌ فِي أُمَّتِه وَعَلِيٌّ نَظِيْرِي». (إثبات الهداة:٣/٢٦٦)

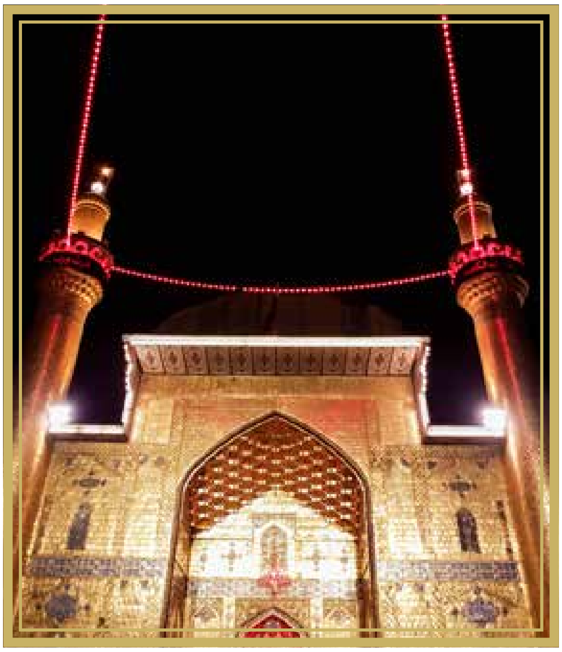

وقد جسّد فعلاً أخلاق وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من الجوانب المتميّزة في حياته الطاهرة عدله القضائي ودقة أحكامه في القضايا التي فصل فيها وكان سباقاً إلى احتواء مشكلات القضاء وعويصاته ومستحدثات مسائله وما يمكن أن يستجد من أموره وموضوعاته ومن هنا تبرز عظمته بوصفه قاضياً فريداً ومتميزاً عن غيره لما له من خصوصية في العملية القضائية بعد أن عرف أنّ أحكام الشريعة الغراء تغطي كل أحداث الناس وخصوماتهم.(قواعد استنباط الأحكام:١/٧٤)

فمادام دستور هذه الشريعة وقوانينها فيه تبيان لكل شيء، وذلك بيد الراسخين في العلم، المتمثل بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي عليه السلام وابنته الطاهرة فاطمة الزهراء وذريتهم الأطهار الأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد وردت الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في فضله ومناقبه وقدرته ومعرفته في الأمور سواء كانت الكونية أو غيرها.

فقد ورد عنه عليه السلام: «سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنّي بِطُرُقِ الأَرْضِ».(نهج البلاغة:٢٨٠)

وَيَقُولُ عليه السلام: «لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الْوِسَادَةُ لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاة بِتَوْرَاتِهِمْ، وَ بَيْنَ أَهْلِ الإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ، حَتَّى يَزْهَرَ كُلٌّ إِلَى رَبِّهِ وَيَقُولَ إِنَّ عَلِيّاً قَضَى فِينَا بِقَضَائِكَ». (بحار الأنوار:٣٠/٦٨٢)

وَقَالَ عليه السلام: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ». (دلائل الإمامة:٢٣٥)

وَقد شهد لَهُ الرَّسُولُ الأَمِينُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنَّهُ: بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ، وَأَقْضَى الأُمَّةِ».(بحار الأنوار:٣٠/٦٧١)

فإنه عليه السلام الوحيد الذي لم يختبره الرسول الأعظم حين ولاه قضاء اليمن، رغم أنّه كان وقتها في رياعين شبابه يافعاً، ثم إنّه كان المستشار الفقهي والقضائي للخلفاء الذين من قبله ومرجع الصحابة في عويصات ما تعترضهم من مسائل. الإرشاد:١١٧)

الأمر الذي يدلنا على تمتعه بإلهام رباني وخصوصية قضائية مبدعة استحق فيها أن يصفه نبي الأمة بأنه أقضى الأمة.

فاضل عباس

السيدة الثانية في الكون

السيّدة زينب الكبرى عليها السلام هي السيدة الثّانية بعد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

كانت حياتها بحراً متلاطماً بالفضائل والكرامات، والقداسة والروحانية.

إنّها شخصية ازدحمت فيها الطاقات والكفاءات والقابليات، ومقومات الرقي والتفوق.

من هنا فكل صفحة من صفحات حياتها المشرقة جديرة بالدراسة والتحقيق والبحث والتحليل.

فمن ناحية تعتبر القراءة في ملف حياتها نوعاً من أفضل أنواع العبادة وسبل التقرب على الله تعالى.

لأنّها اطلاع على حياة سادات أولياء الله تعالى.

ومن ناحية أخرى: التّدبر في اللقطات التاريخية التي وصلت إلينا عن حياة هذه السيدة العظيمة يعطي الإنسان دروساً مفيدة تنفعه في كثير من مجالات حياته.

فضلاً عن أنّ التأليف في حياتها المتلألئة يعتبر محاولة لإعطاء صورة واضحة عن غير قدوة للنساء المؤمنات بعد أمّها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام.

بل خير أسوة لكل امرأة تبحث عن السّعادة في الحياة، وأفضل مثال للأمّهات اللاتي يبحثن عن تربية مثالية لأولادهن.

والفوز بجنّة عرضها السماوات والأرض.

إنّ السيدة الجليلة عقيلة الهاشميين زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، نادرة من نوادر الكون، وآية إبداع في خلق الله تعالى.

وهي ملتقى آيات العظمة، ومفخرة التاريخ.

فإذا استقرأنا أسباب العظمة وموجبات الشرف في تاريخ البشر على اختلاف أنواعها وأقسامها نجد كلها أو جلها مجتمعة ومتوفّرة في هذه السيدة الجليلة زينب عليها السلام.

بحق إنّها زينة أبيها، إنّها كأبيها وهذا بشهادة الأعداء فضلاً عن مدح أهل البيت عليهم السلام لها.

أليس النّسب الرفيع، والعلم الغزير، والصبر على المكاره، والشجاعة، والوفاء، والعاطفة، والشفقة، والحياء، والعفة، في طليعة الفضائل؟!

فماذا علينا أن نقول لو أنّ هذه الصفات، وغيرها من مكارم الأخلاق اجتمعت بصورة وافرة في سيدة؟! ألا تعتبر تلك السيدة نادرة الكون، ومفخرة التاريخ؟!

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
عن مصادره / بتصرف

النبي الأكرم وعترته عليهم السلام

النعمة التي أنعم اللّٰه بها علينا

حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة وصحيحة السند عند الشيعة الإمامية وأبناء العامة، وهو من الأحاديث المستفيضة التي رويت بالتواتر، ولا يمكن التشكيك في صحة هذا الحديث قطعاً.

خلق الله تعالى الإنسان للوصول إلى السعادة، فهذه الدنيا كالبحر المتلاطم الذي تتقاذفه الأمواج يميناً وشمالاً مدعياً أنّها الطريق الصحيح إلى السعادة، وقد يتيه الإنسان فيه.

فإنّه تعالى برحمته وحكمته لم يترك الإنسان لعلمه بضعفه وقلة حيلته ولم يكله إلى نفسه كي يغرق في التيه والضلال.

لذلك أرسل الأنبياء والرسل لهداية الإنسان إلى السعادة وإبعاده عن طريق الشقاء.

فقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ .المائدة:٣٢

إنّ الهداية الإلهية بواسطة الأنبياء والرسل والأوصياء هي إخراج الناس من الموت إلى الحياة، فإن الميّت من مات قلبه عن حبِّ الله تعالى والنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترة النبي أهل البيت عليهم السلام.

فعن صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَصْرِ بْنِ قَابُوسَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّٰه عليه السلام قَالَ: «لإِطْعَامُ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِتْقِ عَشْرِ رِقَابٍ وَعَشْرِ حِجَجٍ»، قَالَ: قُلْتُ: عَشْرِ رِقَابٍ وَعَشْرِ حِجَجٍ؟ قَالَ: فَقَالَ: «يَا نَصْرُ إِنْ لَمْ تُطْعِمُوهُ مَاتَ أَوْ تُذِلُّونَهُ فَيَجِيءُ إِلَى نَاصِبٍ فَيَسْأَلُهُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ مَسْأَلَةِ نَاصِبٍ يَا نَصْرُ مَنْ أَحْيَا مُؤْمِناً فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً فَإِنْ لَمْ تُطْعِمُوهُ فَقَدْ أَمَتُّمُوهُ وَإِنْ أَطْعَمْتُمُوهُ فَقَدْ أَحْيَيْتُمُوهُ».(الكافي للكليني:٢/٢٠٤)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .الحديد:٢٥

عن مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ جَعْفَرٍ الْهَمَدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: «سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللّٰه صلى الله عليه وآله إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللّٰه وَعِتْرَتِي مَنِ الْعِتْرَةُ؟ فَقَالَ: «أَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ التِّسْعَةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ تَاسِعُهُمْ مَهْدِيُّهُمْ وَقَائِمُهُمْ لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللّٰه وَلَا يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَى رَسُولِ اللّٰه صلى الله عليه وآله حَوْضَهُ».(كمال الدين للصدوق:١/٢٤١)

لمعرفة الثقلين الأمرين المهمين في حياة الأمة علينا أن نرجع إلى القرآن أولاً وإلى أهل البيت عليهم السلام ثانياً، وذلك لأنّ لا يعلم العلم إلاّ الله والراسخون في العلم ألا وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وهذه ضرورة عقلية أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، وكيف يمكن للمرء أن يذهب إلى المهندس ويطلب منه أن يعالجه من المرض أو يكتب له وصفة علاج.

فعن أبان بن تغلب عن سليم بن قيس قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب عليه السلام حينما سأله رجل عن

حديث الثقلين قال عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي آخرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا ثُمَّ قُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بهمَا كتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتي فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بإِصْبَعَيْهِ الْمُسَبِّحَتَيْنِ وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بالْمُسَبِّحَة وَالْوُسْطَى لأَنَّ إِحْدَاهُمَا قُدَّامَ الْأُخْرَى فَتَمَسَّكُوا بهمَا لَا تَضلُّوا وَلَا تُقَدِّمُوهُمْ فَتَهْلكُوا وَلَا تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ منْكُمْ»، قَالَ: يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ سَمِّه لي؟ قَالَ: «الَّذي نَصَبَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بغَدير خُمّ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَوْلَى بهمْ منْ أَنْفُسهمْ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُعَلِّمَ الشَّاهدُ الْغَائبَ منْهُمْ»، فَقُلْتُ: أَنْتَ هُوَ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ؟ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ ثُمَّ ابْنَيَ الْحَسَنُ منْ بَعْدي أَوْلَى بالْمُؤْمنينَ منْ أَنْفُسهمْ ثُمَّ ابْنيَ الْحُسَيْنُ منْ بَعْده أَوْلَى بالْمُؤْمنينَ منْ أَنْفُسهمْ ثُمَّ أَوْصيَاءُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله حَتَّى يَردُوا عَلَيْه حَوْضَهُ وَاحداً بَعْدَ وَاحد»، فَقَامَ الرَّجُلُ إِلَى عَليّ عليه السلام فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: أَوْضَحْتَ لي وَفَرَّجْتَ عَنِّي وَأَذْهَبْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي قَلْبِي».

يُفهم من حديث النبي صلَّى الله عليه وآله بعض الأمور منها:

أولاً

إنّ الله تبارك وتعالى أنزل البرامج الكاملة والمنهج الصحيح للناس كي يسيروا على هذا المنهج الإلهي للوصول إلى الهدف الذي من أجله خلقهم الله تعالى ألا وهو الفوز في الدنيا والآخرة.

ثانياً

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ» أي هو صلَّى الله عليه وآله لم يكن بين المسلمين وهذا يعني أنّه قد يترك للأمّة أمرين إذا تمسّكت بهما لن تظل بعده أبداً، لأنّه صلَّى الله عليه وآله قد بلّغ عن الله تعالى وأرشد الناس إلى الهداية وإلى الصواب، لكن بقي من يأتي بالإنسان إلى الطريق الصحيح، فالأمة بعد نبيّها أحوج ما تكون إلى من يقوم مقام النبي صلَّى الله عليه وآله لكي يأخذ بيدها إلى الهدف المطلوب.

ثالثاً

هذان الأمران هما بنفس الموازاة والمقاييس، أي: بما أنّ القرآن هو الوحي المنزل من الله تبارك وتعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله، فإنّ قول أهل البيت عليهم السلام عترة النبيِّ كذلك هو الوحي المنزل من الله تبارك وتعالى، وإلاّ لا داعي للمساواة والموازاة بينهما، وهذه المساواة قد بيّنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أشار بإصبعيه المسبّحتين وقال: «كَهَاتَيْنِ»، أي ساوى بين المسبحتين، وقد نفهم أن المساواة بين المسبّحتين تعني الموازاة وأيضاً تعني أنّهما في مستوى واحد من المنزلة والدرجة.

رابعاً

لكي لا يكون هناك أيُّ شد وترديد في منزلة قول العترة الطاهرة وأنّها الوحي الإلهي قال: «وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ» وقد أَشَارَ بالْمُسَبِّحَة وَالْوُسْطَى، فحينما يجعل الإنسان المسبحة مع الوسطى يرى هناك فرقاً بين الإصبعين، أنّ الوسطى هو أكبر من المسبحة؛ فأراد النبيُّ صلى الله عليه وآله أن يقول للأمة إنّ القرآن والعترة لن يفترقا عن بعضهما البعض ولا يتقدم ولا يتأخر أحدهما على الآخر، لأنّ التقدّم أو التأخر سيخل في قانون المساواة والموازاة بينهما.

خامساً

بيّن النبيُّ صلى الله عليه وآله آثارالتمسّك بالثقلين وعدم تقدّمهم أو تأخرهم بقوله: «فَتَمَسَّكُوا بهمَا لَا تَضلُّوا وَلَا تُقَدِّمُوهُمْ فَتَهْلكُوا وَلَا تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ منْكُمْ».

فقد يُفهم من حديث النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله هذا أنّ إطاعة القرآن والعترة معاً سينتج للأمة السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، فضلاً عن أنّ التأخر عنهما من آثاره التفرقة، والتقدّهم عليهم يسبب الهلاك.

كذلك أشار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى أنّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام هم أعلم من أي إنسان، فلا يحقّ للأمة تعليمهما بل عليهم أخذ العلم منهما.

إذن: القرآن الكريم هو الحبل الممدود من السماء وأهل البيت عليهم السلام هم أصحاب هذا الحبل، وبيدهم تفسيره وتأويله وعليهم تطبيقه في الأمّة، لكن من طلب هواه والجاه والدنيا قد منع أهل البيت عليهم السلام من الإتيان بهذا الدور العظيم، وقد ظلمهم وسلب حقّهم وقتلهم، ولم يحفظ حرمة رسول الله صلَّى الله عليه وآله في عترته وأهل بيته عليهم السلام.

بقلم: محمد رزاق صالح

نماذج من التوبة في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة:٥٤)

تشير الآية الكريمة إلى طبيعة الذنب الذي اقترفه بنو إسرائيل وطبيعة التوبة ونوعها اتجاه هكذا معصية فعبادة العجل أمر عظيم وخصوصاً بعدما شاهد قوم بني إسرائيل آيات الله تعالى ومعجزات نبيهم موسى على نبينا وآله وعليه السلام، ثم نسوا ذلك دفعة واحدة وخلال مدة قصيرة من غياب النبي أنحرفوا تماماً عن مبدأ التوحيد وعن الدين الإلهي.

فكان لابد من اقتلاع جذور هذه الظاهرة الخطرة كي لا تعود إلى الظهور ثانية ومن هنا جاءت الأوامر الإلهية بالتوبة الشديدة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ الأنبياء والتي تقتضي بإعدام جماعي لعدد كبير من المذنبين على أيدي أنفسهم.

ورغم القسوة في ظاهر الحكم إلاّ أنّ الله سبحانه يؤكّد الخير في هذا الأمر لما يستتبعه من نتائج إيجابية على المدى البعيد. (التفسير الأمثل:١/١٦٨)

- قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة:١٦٠)

لقد دلّت الآية الكريمة على كثرة محبّة الله تعالى وسبق عطفه على عباده التائبين فيقول سبحانه لهؤلاء: إن تبتم أي عدتم إلى نشر الحقائق فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم.

ومن الملفت للنظر أنّ الله لم يقل أنه يقبل التوبة ممن تاب بل يقول: من تاب فأنا أتوب عليه والفرق في التعبيرين واضح فالثاني فيه من التودد والتحنن وإغداق اللطف ما لا يمكن وصفه.

ثم استعمال الضمير (أنا) في هذا الموضع يستهدف نوعاً من التودد وبيان الارتباط المباشر بين المتكلم والسامع وخاصة إذا قال عظيم من العظماء: (أنا أتكفل لك بالعمل الفلاني) حيث يختلف عما لو قال: (سنقوم نحن بـإنجاز العمل) فالمحبة الكامنة في الأسلوب الأول غير خافية على أحد.

وكلمة (تـوّاب) صيغة مبالغة تبعث على الأمل في نفوس المذنبين وتمزّق أستار اليأس عن سماء أرواحهم خاصة وأنّها اقترنت بكلمة (رحيم) التي تشير إلى الرحمة الإلهية الخاصة.

إذن جاءت الآية للدلالة على كمال الرحمة والرأفة الإلهية بإلقاء كل نعت وطرح كل صفة وتصدي الأمر بنفسه تعالى وتقدّس. (تفسير الميزان:١/٣٢٦)

قال تعالى: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (آل عمران/٨٩)

الآية المباركة تقرن التوبة بالصلاح فتغسل عنهم درن الكفر وتطهّر باطنهم بالإيمان وكما تبيّن أنّ التوبة لا تعني مجرد الندم على ما مضى والعزم على تجنب ارتكاب الذنوب في المستقبل بل شرط قبولها هو أنّ يمحو التائب بأعماله الصالحة في المستقبل جميع أعماله القبيحة الماضية.

لذلك نجد في كثير من الآيات أنّ التوبة يرافقها العمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. (مريم:٦٠)

وإلاّ فإنّ التوبة لن تكون كاملة فهؤلاء إنّ فعلوا ذلك نالوا رحمة الله ومغفرته، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (آل عمران:٨٩)

بل إنّه يستفاد من هذه الآية أنّ الذنب عبارة عن نقص في الإيمان وإنّه بعد التوبة يقوم الشخص التائب بتجديد الإيمان ليتطهر من هذا النقص. (تفسير الميزان:٣/٢٩٢)

– قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. (آل عمران/١٢٨)

ففي الآية بيان لرجوع أمر التوبة والمغفرة إلى الله تعالى لأنّه سبحانه هو المالك لكل شيء فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء ومع ذلك فإنّ مغفرته ورحمته تسبقان عذابه وغضبه فهو الغفور الرحيم. (تفسير الميزان:٤/٩)

– قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. (النساء:١٦)

الآية الكريمة تشير إلى تقييد التوبة بالإصلاح لتحقيق حقيقة التوبة وتبيين أنّها ليست مجرد لفظ أو حالة مندفعة. (الميزان:٤/٢٠٠)

وقد اشتملت الآية الكريمة على تعليم تربوي واضح يفتح طريق العودة ويرسم خطّ الرجعة لمثل هؤلاء العصاة فإنّ على المجتمع الإسلامي أن يحتضن هؤلاء إذا تابوا ورجعوا إلى الطهر والصواب وأصلحوا ولن يطردوا من المجتمع بعد هذا بحجة الفساد والانحراف.

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا﴾ إنّه يجب أن لا يعيّر العصاة الذين رجعوا إلى جادة الصواب وتابوا وأصلحوا على أفعالهم القبيحة السابقة وأن لا يلاموا على ذنوبهم الغابرة فإذا كان الحكم الشرعي والعقوبة الإلهية يسقطان بسبب التوبة والإنابة فإنّ الأولى أنْ يغضّ الناس الطرف عن سوابقهم وهذا بنفسه جارٍ فيمَن نُفذ فيه الحدّ الشرعي ثم تاب بعد ذلك فإنّه يجب أنْ تشمله مغفرة المسلمين وعفوهم. (التفسير الأمثل:٣/١٠٤)

– قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. (النساء:١٧)

إنّ توبة واحدة من العبد محفوفة بتوبتين من الله سبحانه على ما يستفاد به من كلام الله تعالى وذلك أنّ التوبة من العبد حسنة تحتاج إلى قوة والحسنات من الله والقوة لله جميعاً فمن الله توفيق الأسباب حتى يتمكن العبد من التوبة ويتسنى له الانصراف عن التوغل في غمرات البعد والرجوع إلى ربّه ثمّ إذا وفق للتوبة والرجوع إلى ساحة خالقه احتاج للتطهّر من هذا التلوث إلى رجوع آخر من ربّه إليه بالرحمة والحنان والعفو والمغفرة.

وهذان الرجوعان من الله سبحانه هما التوبتان الحافتان لتوبة العبد ورجوعه قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾. (التوبة:١١٨)

وهذه هي التوبة الأولى وقال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾. (البقرة:١٦٠)

وهذه هي التوبة الثانية.

– قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. (النساء: ٢٦)

فالتوبة سبب في رجوعه سبحانه إلى عبده بالنعمة والرحمة وتشريع الشريعة وبيان الحقيقة والهداية إلى طريق الاستقامة كل ذلك توبة منه سبحانه كما أنّ قبول توبة العبد ورفع آثار المعصية توبة. (تفسير الميزان:٤/٢٤٠)

– قال تعالى: وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾. (النساء:٢٧)

فهذا يعني أنّ الله سبحانه يريد بتشريع الأحكام المذكورة في الآيات السابقات أن يعيد على الناس نعمهُ التي قُطعت ومُنعت عنهم بسبب ذنوبهم وارتكابهم للشهوات. (التفسير الأمثل:٣/١٣٦)

– قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (النساء:١٤٦)

فالآية الكريمة تشير إلى مراحل متعددة ينبغي أن يطويها الفرد ليصل إلى مرحلة الإيمان الصالح الذي لا يشوبه شائبة فذكر التوبة أول خطوات الإيمان وهي الرجوع إلى الله تعالى ولا ينفع الرجوع والتوبة لوحده حتى يصلحوا ما فسد منهم من نفس وعمل ولا ينفع الإصلاح إلاّ أن يعتصموا بالله أي يتبعوا كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام إذ لا سبيل إلى الله تعالى إلاّ ما عيّنه وما سوى ذلك فهو سبيل الشيطان ولا ينفع الاعتصام إلاّ إذا أخلصوا دينهم وهو الذي فيه الاعتصام لله تعالى. (تفسير الميزان:٥/١٠٣)

والآية تبيّن أنّ هؤلاء التائبين مع المؤمنين وذلك للتدليل على أنّ منزلة المؤمنين الثابتين أكبر وأعظم من منزلة هؤلاء فالمؤمنون الراسخون في إيمانهم هم الأصل وهؤلاء هم الفرع وما يظهر عليهم من نور وصفاء إنّما هو بسبب وجودهم في ظل المؤمنين الراسخين. (التفسير الأمثل:٣/٣٣٣)

محمد جليل الحسناوي

البر والتقوى

تبنى الإسلام بصورة إيجابية ودقيقة جميع قضايا الإنسان وشؤونه الفردية والاجتماعية، وأقام له حياة مشرقة تقيم أوده، وتهديه للتي هي أقوم.

وكان من بين ما عنى به الإسلام هو: تهذيب سلوك الإنسان وغرس روح الفضيلة في أعماق نفسه ودخائل ذاته، ليكون بعيداً عن خطر الغرائز الشريرة التي تهبط به إلى مستوى سحيق من مآثم هذه الحياة.

لقد وعى الإسلام بكلّ دقة لهذا الكائن الحي من بني الإنسان، وأحاط بجميع مكوناته النفسية، فوضع له المناهج الحكيمة التي ترفع مستواه إلى منتهى ذروة الزحف من الكمال، بحيث يعيش في دعة واستقرار وأمن ورخاء تسوده العدالة بجميع رحابها ومفاهيمها.

وكان ذلك المنهج الرائع هو الاتصال بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة، ومما لا ريب فيه الإيمان الخالص بالله تعالى يصدّ الإنسان عن اقتراف الجرائم والموبقات، ويبعثه إلى فعل الخير والإحسان والبر بأبناء مجتمعه، وبذلك يكون المجتمع الصالح الذي ينشده الإسلام.

إنّ البرّ والتقوى من أوليات المبادئ التي رفع شعارها الإسلام، وأعلنها القرآن الكريم في غير آية من آياته.

فإنّ لكل آية من آيات الكتاب العزيز وقعاً في النفس، ونداءً في الضمير، وحديثاً ومناجاةً مع الروح، والتحاماً مع واقع الفطرة، من خلال سموّ الغاية، وجلالة الهدف الذي جاء الإسلام من أجله، وأوضح إليه السبيل.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.(إبراهيم:١)

ورد في تفسير القمي: (﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يعني من الكفر إلى الإيمان ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ والصراط الطريق الواضح وإمامة الأئمة عليهم السلام).(تفسير القمي:١/٣٦٧)

إنّ الخروج من الظلمات هو طريق أهل البيت عليهم السلام، وطريق أهل البيت عليهم السلام لا يتم إلا بمعرفتهم.

فعلينا أن نفتح القلوب لذلك النور الذي أُنزل من السماء إلى الأرض ليضيء أرجاءها، وهبط من جلال الحق والهدى إلى أغشية الغفلة ليبدّدها، وليقيم مكانها نعيمه الأبدي، ونوره السرمدي الذي لا يضل معه المدلج الساري في أي مذهب وغاية.

فالنافذة الأولى التي تعدّ جزءاً من البناء المترابط، والكيان المتلاحم لأهداف القرآن الكريم في صنع المجتمع الإسلامي هو أهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم، وذلك لرفد أسس بناء الأمة التي آمنت بالله تعالى، فهم عليهم السلام الهادون المهدون إلى الحق، ومرشدون إلى صراط الله القويم.

فهم عليهم السلام النافذة التي تطل من خلالها على صورة بهيّة للبر والتقوى، متينة الهيأة، عميقة الجذور، سامية المضامين في قول الله تعالى شأنه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. (البقرة:١٧٧)

إنّ في تفسير هذه الآية معاني عظيمة وكبيرة، إنّ الله تبارك وتعالى أمر الناس بالبرّ، فعندما رأت اليهود والنصارى أنّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد فضّل علياً عليه السلام، فقالوا إنّ البرّ أن نصلي إلى قبلتنا، فأنزل الله تعالى ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، إلى آخر الآية، فأراد الله أن يبيّن البرّ في إطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم واتباع أهل البيت المعصومين عليهم السلام.

فهم الذين يرشدون إلى الخير وإلى البر.

تلك الصورة للبر والتقوى المتمثلة في الإيمان والطاعة، قد علت بألقها على لحظ العيون، فلا يكاد يستطيع أن يرمقها البصر.

وقال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾. (الملك:٣-٤)

فهي في جانب الإيمان بيضاء مضيئة تتسامى على أشعة الشمس، لأنها التمست إشعاعها من مصدر الهدى والنور.

فقال تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (النور:٣٥)

وأمّا في جانب الطاعة، فهي حيّة متحرّكة تنبض بالوعي والصدق والوفاء والحب والصّبر والرضا والإخلاص.

فهو جانب تمتزج فيه العبادة والطاعة، مع الخلق الرفيع والأدب السامي، امتزاج العطر بالزهر، ليحققا نتيجة الإيمان الصادق، والذي يعتبر مصدر المنعة والإرادة الواعية، ومنبع الحرارة والدفق لهذا التجسيد العملي.

وبذلك يكون الإيمان هو البرّ، والبر هو الإيمان في وحدة النظرية والتطبيق، وفي صورة منسجمة الملامح، متماسكة الأعضاء، يشد بعضها بعضاً تحت إكليل التقوى.

عبد الرزاق فرج الله

رحلة إلى العالم الآخر

غيوم منتشرة في الفضاء الواسع.. ممتدة إلى ما لا نهاية على عرض السماء الرحبة وتبدو وكأنّها تسبح بفرح في الأعالي.

مكتسية ثوبها الأبيض الناصع وخيوط الشمس المتسللة إليها من البعيد تزيدها صفاءً وجمالاً خلالها تطل السماء بلونها الأزرق الفاتح مكوّنة معها انسجاماً كونياً بديعاً.. وثمّة نسائم باردة تهب بلطف بين الحين والآخر لتزيد الجو سحراً وجمالاً في تلك اللحظات من صباح أحد أيام نيسان المعتدلة.

إلاّ أنّ هناك شيئاً غير طبيعي.. أعمدة دخان تتصاعد من أكوام وبقايا حديدية متشابكة.

هناك أيضاً جثث بشرية ممزّقة ومرميّة بشكل مريع وبأماكن متفرّقة على طول أرض صحراوية مستوية تقريباً غطتها الرمال الصفر المتلألئة.

ما هذا التناقض في صورة الحياة التي أحياها وأراها الآن أمامي؟

الأرض.. يبدو عليها وكأنّ أيادي شريرة وعابثة ما عرفت الرحمة سبيلاً إلى نفوس أصحابها عبثت بحقد بكل شيء عليها وحولته من صورتها الجميلة الهادئة إلى صورة بشعة.. إلى مناظر للخراب والدمار.

إلى نار ورماد.. إلى دماء امتصت منها الرمال حتى ارتوت.. وإلى سيقان وأذرع ورؤوس مبعثرة.. أمّا السماء فإنّها تبدو على أحسن صور جمالها وبهائها.

هناك الزرقة الصافية مطرزة بألوان الغيوم القطنية.. وهناك الجو البديع والشمس الدافئة.. إنّها أشبه ما تكون بعالم الخيال.. آه، لقد تذكرت.. أين أنا؟ ومن أكون من هذا العالم الفسيح؟!

إنّي الآن أشعر بخفة وبصفاء ذهن عجيب وأكاد أطير خفة ورشاقة وأشعر كأنّني تخلصت من حمل ثقيل كان مرمياً عليّ طوال السنين التي مضت والآن فقط ولأول مرة في حياتي أشعر براحة عجيبة لم أصادفها مرة، أو حتى خطرت ببالي.

وفوق هذا إنّني أستطيع الحركة والانتقال إلى أيّ مكان وأية جهّة أريدها بسهولة تامة وعجيبة أيضاً.

ولكن أين ذهبت يا ترى ليلة أمس؟

تلك الليلة العصيبة وتلك الظلمة الحالكة وأصوات الاطلاقات والانفجارات المدوية تمزّق السكون والليل وكل شيء.. وتزرع الرعب والهلع في القلوب وتنشر الدمار في كلّ مكان تحلّ فيه، غير مكترثة لشيء وكأنّها القدر بخطواته الثابتة.. بقبضته الفولاذية.. بقلبه المتحجر.. وأصوات

الاستغاثة وصيحات الألم المخنوقة تتناثر في جوف الظلام الدامس كتناثر الزجاج بين مطارق من حديد.

والموت ماثل أمامنا كالجبل الشاهق نراه مرّة في سورة الظلام ومرّة في دوي الانفجارات وأخرى في صيحات الألم.

يا ترى أين ذهب كل هذا؟

يبدو أنّه تبخّر بطلوع الفجر، إنّها ليلة عصيبة حقّاً مرت كمرور الكابوس، لكن الكابوس هذه المرة أصبح حقيقة لا مجرد حلم مزعج ينتهي مفعوله بمجرد اليقظة من النوم، بدليل أنّ الأحلام حين تأتي لا تخلف شيئاً يلمس خلفها.

ولكنّي الآن أرى مخلفات ذلك الكابوس ماثلة أمامي وفي نفسي، إنّه خلق الموت والدمار.

يا للعجب لهذا الإحساس الغريب الذي أعيشه الآن.. إنّني أحس بأنّي تغيّرت كليّاً وكأنّني ولدت لأوّل مرّة في هذه الدنيا وينتابني شعور كأنّي كنت نائماً والآن فقط أشعر باليقظة الحقيقية.

نعم الآن فقط استيقظت من سبات طويل دام لأكثر من عشرين عاماً لكن ما بال الناس لا يستيقظون من نومهم هذا ليروا الحياة الصافية لا بل وإن قلت الصحيح أنّ ليس هناك مجال للمقارنة بينهما، لكنّي سأعمل بكل جهدي لكي أفهمهم وأقنعهم بما أنا فيه من حياتيالتي أحياها إنّها أجمل وأنقى من حياة النوم.

الآن.. ولكنّي قبل هذا لأبحث عن رفاقي وأتعرّف على حالهم وما وصلوا إليه.. ولكن لا أعرف من أين أبدأ رحلة البحث عنهم لأنّي نفسي لا أعرف أين أنا وأين مكاني بالضبط من هذا العالم.. إنّي أشعر وكأنّني في كلّ مكان وبكل شيء...!!

ماذا جرى.. إنّي أصبحت خارقاً لا يستعصي عليّ فعل أيّ شيء، إنّي أستطيع أن أرى الأشياء على بعد لا يستطيع أقوى ناظور عندنا أن يراها... ها هم الأعداء أمامي يتحركون، إنّي أراهم بوضوح تام، وها هي معداتهم وحتى أدواتهم البسيطة والصغيرة أيضاً مثل الأزرار والرتب العسكرية.

يا للعجب إنّي أستطيع أن أرى حتّى ما في داخلهم وما يجري في عروقهم.. ولكنّ أين هم الرفاق الآن؟ لقد تعاهدنا على أن لا نفترق أبداً ومهما يكن السبب، لكن الموت وحده الذي يستطيع تفريقنا، وها هو يأخذهم منّي ليتركني وحيداً في هذا المكان الموحش من رائحة الموت التي تملأ المكان، بين تلك الرؤوس المتناثرة والأجساد المشوّهة.

يا ترى أين هو عبد الجليل؟ صديقي وأخي وأعزّ ما في دنياي وأين هم أصحابنا، هل تدوم الفرقة بيننا إلى الأبد أم ماذا؟ ثم لا أدري كم من الوقت وأنا في حالة الدهشة والانبهار بكل شيء حولي وكأنّني طفل جاء إلى الدنيا في سن العشرين..!!

ثم لاحت منّي التفاتة إلى الخلف.. فشعرت بسريان هزة عنيفة لكياني.

ماذا أرى؟ يا لفرحتي.. ها هم بعض أصدقائي ومعهم عبد الجليل.. لقد جاءوا لينقذوني من هذه الوحشة الرهيبة.. إنّي أكاد أطير فرحاً والدنيا بوسعها لا تستطيع ضم فرحتي.

الحمد لله.. إنّهم ما زالوا أحياء، وها هو عبد الجليل يتقدم نحوي بخطى بطيئة وثقيلة جداً وساقاه تخطان بالأرض خطا.. الظاهر إنّه لم ينتبه إليّ بعد.. ورحت صائحاً بشوق.. عبد الجليل.. عبد الجليل.. الحمد لله على السلامة لقد أقلقتني عليك.. شيء غريب حقاً...!!

إنّه لا يبالي بي ولا حتى يرفع عينيه عليّ ولا الذين معه.. يا إلهي.. ماذا جرى بهذه الدنيا؟!

يا الله.. إنّهم يتركونني خلفهم وعقلي يكاد يطير من رأسي.. فتبعتهم وأنا من الدهشة والغضب في نهايتها.. ماذا بكم لا تجيبونني؟ هل تسمعونني؟ أخبروني ماذا جرى...!!

لكن ما من مجيب..! ونفد صبري وقررت أن لا أكلمهم الآن.. إنّهم يواصلون السير وقد ظهرت إمارات الأسى واضحة على وجوههم السمر وقد غطت وجوههم وأجسادهم طبقة من الأتربة الصغيرة المتطايرة وظهروا وكأنّهم جاءوا من أعماق التاريخ..!!

ماذا أرى أمامي..!! إنّ عبد الجليل انحنى بقوة وسرعة نحو جثة وكأنّه سقط عليها من فوق مكان شاهق الارتفاع.. إنّه أجهش بالبكاء والدموع تتدفق من عينيه بغزارة.. إنّني أشعر وكأنّ الدموع تكاد تنهمر من عيني أنا أيضاً.. ماذا يفعل؟!

إنّه يقلبها إلى الأمام بعد أن كانت مرمية على وجهها.. ثم يدفن وجهه في صدرها ويبكيها بمرارة وجزع شديد.. يا ترى لمن تكون هذه الجثة؟

أكيد إنّها لأحد أصدقائه الأعزاء عليه.. ولكن جميع أصدقائه هم أيضاً أصدقائي..!! فتقربت وأمعنت النظر فيها.. فإذا بي أرى صورتي في هذه الجثة.. يا إلهي هي جثّتي أنا بلا شك وها هو وجهي وجسمي.. وها هو أيضاً الجرح القديم الذي تحت فمي.

طالب عباس

إحصائيات في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ للإحصاء أثراً كبيراً في إبراز معالم وسمات أي موضوع أو حادثة ولاسيما واقعة الطف.

إذ لم تترك هذه الواقعة كما تركته باقي الواقعات بعد بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين بالمستوى الذي تركته نهضة كربلاء عام ٦٠ للهجرة.

وهذه الحقيقة واضحة من خلال أدنى تأمل في عادات وتقاليد وثقافة المسلمين اليومية بل قد لا تجد واقعة في تاريخ الإسلام أكثر حضوراً في أذهان المسلمين بكل دقائق وتفاصيل التاريخ من واقعة كربلاء.

ومن هنا يجدر بالباحثين والمؤرخين أن يحققوا بنظرة أكثر دقة في هذه الواقعة الخالدة بشتى زواياها لما يترتب على ذلك من آثار كبيرة في توضيح الحقائق وبيانها رغم أننا لا ننكر وجود مثل هذه المحاولات قديماً، وحديثاً إلا أن المؤسف أنها تناثرت في متون الكتب التاريخية فأحصينا منها ما نستطيع إحصاءها، وتركنا الكثير لمن يأتي.

- إنّ فترة نهضة الإمام الحسين عليه السلام امتدت مدة قيامه عليه السلام من يوم رفضه البيعة ليزيد وحتى يوم عاشوراء (١٧٥) يوماً؛ (١٢) يوماً منها في المدينة و(أربعة أشهر وعشرة أيام) في مكة و(٢٣) يوماً في الطريق من مكة إلى كربلاء و(٨) أيام في كربلاء وهو من اليوم الثاني من شهر محرم الحرام وحتى اليوم العاشر والشهر ذاته.
- عدد المنازل التي نزل بها عليه السلام بين مكة والكوفة والتي قطعها الركب الحسيني حتى وصل إلى كربلاء هي (١٨) منزلاً كما ذكرها صاحب معجم البلدان.
- المسافة بين كل منزل وآخر ثلاثة فراسخ وأحياناً خمسة فراسخ.
- عدد المنازل من الكوفة إلى الشام التي مرّ بها ركب السبايا مع الإمام الحسين عليه السلام هي (١٤) منزلاً.
- بلغت كتب أهل الكوفة في دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام (١٢٠٠٠) كتابٍ وبلغ عدد من بايع مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة (١٨٠٠٠) شخص، وقيل (٢٥٠٠٠) شخص وقيل أيضاً (٤٠٠٠٠) شخصاً.
- عدد الشهداء من أبناء أبي طالب عليه السلام الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية (١٧) هاشمياً، وممن لم ترد أسماؤهم في زيارة الناحية هم (١٣) شهيداً، وقد استشهد ثلاثة أطفال من بني هاشم فيكون بذلك مجموع الشهداء من أبناء آل أبي طالب عليهم السلام (٣٣) شهيداً.

فأبناء الإمام الحسين عليه السلام (٣) أشخاص وأولاد الإمام الحسن عليه السلام (٤) أشخاص، وأولاد عقيل (١٢) شخصاً، وأولاد جعفر (٤) أشخاص.

- أما شهداء الأنصار: فقد بلغ مجموع شهداء الكوفة والأنصار (١٣٨) شهيداً بينهم (١٤) غلاماً.
- كان عدد رؤوس الشهداء التي قسمت على القبائل وسير بها من كربلاء إلى الكوفة والشام (٧٨) رأساً مقسماً على النحو الآتي:

١. قيس بن أشعث رئيس بني كندة (١٣) رأساً.
٢. شمر رئيس هوازن (١٢) رأساً.
٣. قبيلة بني تميم (١٧) رأساً.
٤. قبيلة بني أسد (١٧) رأساً.
٥. قبيلة مذحج (٦) رؤوس.

٧. أشخاص من قبائل متفرقة (١٣) رأساً.

- كان عمر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم استشهاده (٥٧) عاماً.

- بلغت جراحات الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده (٣٣) طعنة رمح، و(٣٤) ضربة سيف وجراحات أُخرى من أثر النبال.

- كان عدد المشاركين في رض الجثمان المقدس للإمام عليه السلام بالخيل (١٠) أشخاص، وكلهم كانوا أولاد زنا.

- بلغ عدد جيش الكوفة القادم لقتال الإمام الحسين عليه السلام (٣٠٠٠٠) مقاتل وقيل (٢٠٠٠٠٠) مقاتل، وكان عددهم في الدفعة الأولى (٢٢٠٠٠) مقاتل وعلى الشكل التالي:

١. عمر بن سعد ومعه (٦٠٠٠) مقاتل.
٢. سنان بن أنس ومعه (٤٠٠٠) مقاتل.
٤. عروة بن قيس ومعه (٤٠٠٠) مقاتل.
٥. شمر بن ذي الجوشن ومعه (٤٠٠٠) مقاتل.
٦. شبث بن ربعي ومعه (٤٠٠٠) مقاتل.
٧. ثم التحق بهم ابن ركاب الكلبي ومعه (٢٠٠٠) مقاتل.
٨. والحصين بن نمير ومعه (٤٠٠٠) مقاتل.
٩. المازني ومعه (٣٠٠٠) مقاتل.
١٠. نصر المازني ومعه (٢٠٠٠) مقاتل.

- وقف الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم أمام أصحابه وخطب في شهادتهم ودعا لهم ولعن أعداءهم وهم:

١. العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
٢. علي الأكبر عليه السلام.
٣. القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
٤. عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
٥. عبد الله الرضيع عليه السلام.
٦. مسلم بن عوسجة رضوان الله تعالى عليه.
٧. حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه.
٨. الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه.
٩. زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه.
١٠. جون بن حوي رضوان الله تعالى عليه.

- ترحم الإمام الحسين عليه السلام على اثنين من الشهداء هما:

١. مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام.
٢. هاني بن عروة رضوان الله تعالى عليه.

- وقف الإمام الحسين عليه السلام عند رؤوس سبعة من الشهداء هم:

١. العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
٢. علي الأكبر عليه السلام.
٣. القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
٤. مسلم بن عوسجة رضوان الله تعالى عليه.
٥. الحر الرياحي رضوان الله تعالى عليه.
٦. واضح الرومي رضوان الله تعالى عليه.
٧. جون بن حوي رضوان الله تعالى عليه.

- رمى الأعداء برؤوس ثلاثة من الشهداء مع الإمام الحسين عليه السلام هم:

١. عبد الله بن عمير الكلبي رضوان الله تعالى عليه.
٢. عمر بن جنادة رضوان الله تعالى عليه.
٣. عابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله تعالى عليه.

- قطعت أجساد ثلاثة من الشهداء يوم عاشوراء هم:

١. العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٢. علي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٣. عبد الرحمن بن عمر رضوان الله تعالى عليه.

- استشهد في واقعة الطف خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام السبط النبي الأصغر صلى الله عليه وآله وسلم وهم:

١. حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه.

٢. مسلم بن عوسجة رضوان الله تعالى عليه.

٣. أنس بن حرث الكاهلي رضوان الله تعالى عليه.

٤. عبد الله بن يقطر العميري رضوان الله تعالى عليه.

هؤلاء الأربعة استشهدوا في أرض كربلاء أما هانئ ابن عروة رضوان الله تعالى عليه قد استشهد قبل معركة عاشوراء في الكوفة مع مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليهما.

- استشهد في كربلاء خمسة صبيان غير بالغين هم:

١. عبد الله الرضيع عليه السلام.

٢. عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٣. محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام.

٤. القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٥. عمر بن جنادة الأنصاري رضوان الله تعالى عليه.

- استشهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام (١٥) غلاماً (عبيداً) وهم:

١. نصر رضوان الله تعالى عليه.

٢. سعد رضوان الله تعالى عليه مولى الإمام علي عليه السلام.

٣. منجح رضوان الله تعالى عليه مولى الإمام الحسن عليه السلام.

٤. أسلم رضوان الله تعالى عليه مولى الإمام الحسين عليه السلام.

٥. قارب رضوان الله تعالى عليه مولى الإمام الحسين عليه السلام.

٦. الحرث رضوان الله تعالى عليه مولى حمزة.

٧. جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليهما.

٨. رافع رضوان الله تعالى عليه مولى مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام.

٩. الأزدي رضوان الله تعالى عليه مولى عمر الصيداوي.

١٠. سالم رضوان الله تعالى عليه مولى بني المدينة.

١١. سالم رضوان الله تعالى عليه مولى العبدي.

١٢. شوذب رضوان الله تعالى عليه مولى شاكر.

١٣. شبيب رضوان الله تعالى عليه مولى الحرث الجابري.

١٤. واضح رضوان الله تعالى عليه مولى الحرث السلماني.

هؤلاء الأربعة عشر استشهدوا في كربلاء، أما سلمان مولى الإمام الحسن عليه السلام فقد كان بعثه إلى البصرة واستشهد فيها.

- عدد من أسر من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام اثنان هما:

١. سوار بن منعم رضوان الله تعالى عليه.

٢. منعم بن ثمانة الصيداري رضوان الله تعالى عليه.

- عدد من استشهد بعد الإمام الحسين عليه السلام أربعة وهم:

١. سعد بن الحرث.

٢. أبو الحتوف أخو سعد بن الحرث.

٣. سويد بن أبي مطاع وكان جريحاً.

٤. محمد بن أبي سعيد بن عقيل عليه السلام.

- عدد من استشهد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بمحضر من آبائهم ستة وهم:

١. علي الأكبر عليه السلام.

٢. عبد الله الرضيع عليه السلام.

٣. عمرو بن جنادة رضوان الله تعالى عليه.

٤. عبد الله بن يزيد رضوان الله تعالى عليه.

٥. مجمع بن عائذ رضوان الله تعالى عليه.

٦. عبد الرحمن بن مسعود رضوان الله تعالى عليه.

- خمسة نساء أردن القتال يوم عاشوراء، وقد استشهدت واحدة منهن وهن:

١. زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٢. أَمَةُ مسلم بن عوسجة رضوان الله تعالى عليهما.

٣. أُمُّ وهب زوجة عبد الله الكلبي رضوان الله تعالى عليهما.

٤. أُمُّ عبد الله الكلبي رضوان الله تعالى عليهما.

٥. أم عمرو بن جنادة رضوان الله تعالى عليهما.

أمّا المرأة التي استشهدت في كربلاء فهي (أُمُّ وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي رضوان الله تعالى عليها وعلى زوجها).

- النساء اللاتي كنّ في كربلاء هن:

١. زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٢. أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٣. فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٤. صفية عليها السلام.

٥. رقية بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٦. بنات أمير المؤمنين عليهم السلام.

٧. فاطمة العليلة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٨. سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٩. رباب زوجة الحسين بن علي عليهم السلام.

١٠. عاتكة زوجة الحسين بن علي عليهم السلام.

١١. أم محسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

١٢. حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام.

١٣. فضة النوبية رضوان الله تعالى عليها.

١٤. جارية الإمام الحسين عليه السلام.

١٥. أُمُّ وهب بن عبد الله الكلبي رضوان الله تعالى عليها.

١٦. أُمّ هاني رضوان الله تعالى عليها.

- كانت أمّهات تسعة من شهداء كربلاء حاضرات يوم عاشوراء ورأين استشهاد أبنائهن وهم:

١. علي الأكبر عليه السلام وأُمّه ليلى.

٢. عبد الله الرضيع عليه السلام وأُمه الرباب.

٣. عون بن عبد الله بن جعفر وأمه زينب العقيلة عليها السلام.

٤. القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأُمه رملة.

٥. عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأُمه بنت شليل الجليلية.

٦. عبد الله مسلم وأُمه رقية بنت علي عليهم السلام.

٧. محمد بن أبي سعيد بن عقيل.

٨. عمرو بن جنادة.

٩. عبد الله بن وهب وأُمه أم وهب.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام، فيا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

الدكتور حيدر كريم الجمّالي

دور التهجد في الإعداد الروحي والقلبي لخوض المهمات وتحمل الملمّات

كثيراً ما يتعرض الإنسان لحوادث مختلفة خلال فترة حياته، منها حوادث قد ألمت به كالفقر والمرض والعسر وغيرها من الشدائد ونوازل الدهر وقد سميت (بالملمات).(مجمع البحرين:٦/١٦٥)

ومنها ما لم يقع كتهديد العدو، فلا يعلم حاله أكان عازماً أم مدعياً؛ أو كالخروج للقتال فلا يعلم الإنسان مصيره ولا يدري لمن النصر والهزيمة؛ أو كالدخول على الحاكم الجائر لا يدري الداخل ما يحل بأمره وغيرها من مهمات الأمور، فالمهمات من الأمور تعني الشدائد. (العين:٣/٣٥٧)

هذه الحوادث كيف يستقبلها الإنسان؟ وكيف يتعايش معها؟ وماذا أعد لها؟ وهل يمتلك القدرة في المواجهة؟ أسئلة كثيرة ومختلفة كاختلاف الظروف والحالات التي يمر بها الإنسان؛ كما أن أجوبتها متعددة كتعدد الأسئلة، وكلها يمكن حدوثها لاختلاف مستوى التفكير عند الناس واختلاف ظروفهم الحياتية.

إلا أن عاشوراء قد قدمت دروساً تضمنت جميع هذه الأسئلة وأجوبتها! لأنها جمعت أعظم الشدائد والنوازل على مر الدهر.

ولاسيما ليلة العاشر فقد ألقت بهمومها وأحزانها وحذرها على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فكيف استقبلها حجة الله؟ وماذا أعد لهذه النازلة والشدة؟!

سؤال قد فرض نفسه في ساحة الذهن وألقى بظلاله على فكر الباحث والمتتبع لقضية كربلاء وما دار فيها من مآسٍ ومهام جسيمة أرهقت كاهل القارئ لها فكيف بمن عاشها وعايشته حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ملحمة عاشوراء.

فقد أعد الإمام الحسين عليه السلام لهذه النازلة العظيمة ركائز أربعاً، اشترك فيها الزمان والمكان.

أولاً: الصلاة.

ثانياً: تلاوة كتاب الله تعالى.

ثالثاً: كثرة الدعاء.

رابعاً: الاستغفار.

فأما الزمان الذي اتخذه حجة الله في قيام هذه الركائز؟ فكان الليل، والعلّة في ذلك هي النهج الذي خطه القرآن الكريم للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في تخصيص هذا الوقت للتزود بالطاقات والفيوضات الربانية والتي عرفها القرآن بـ(التهجد) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.(الإسراء:٧٩)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ

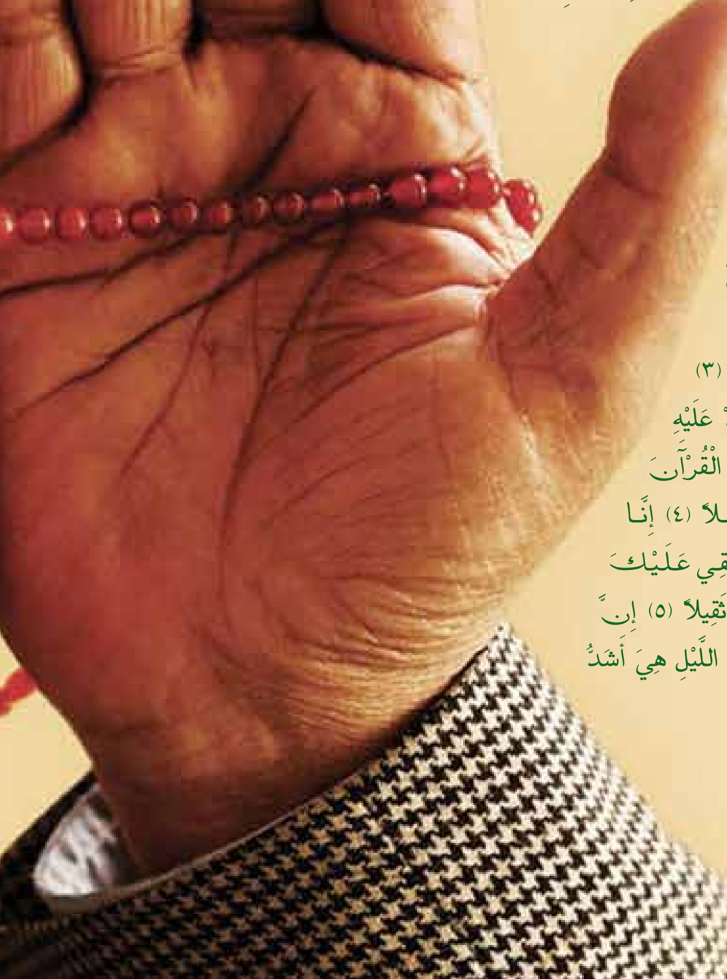

وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾. (المزمل:١-٦)

والتهجد عند أهل اللغة هو: الاستيقاظ إلى الصلاة في الليل، والمتهجد: هو القائم إلى الصلاة من النوم آخر الليل. (تاج العروس:مادة هجد)

وقيل: تكلف السهر للعبادات. (مجمع البحرين:٣/١٦٧)

ولقد حظي التهجد في مدرسة العترة المحمدية عليهم السلام بحيز كبير من الأحاديث الشريفة التي كانت بمجموعها دليلاً عملياً للمؤمنين في نظم أمورهم الدنيوية والأخروية وإعدادها.

فالتهجد ليس مجرد قيام وصلاة في جوف الليل يتحمل فيه القائم عناء السهر، وإنما هو - في مدرسة أهل البيت عليهم السلام - منهج للإعداد النفسي، والروحي، والإيماني، والجسدي.

أو هو بالمعنى الذي يتعاهده طلاب العلوم البايلوجية أشبه ما يكون بـ(الحاضنة) التي تحتضن الخلية الحيوانية لتعدها إعداداً خاصاً يتناسب مع حاجة الباحث والعالم المحيط بشؤونها فيهيئ لها درجة الحرارة المناسبة وكمية الضوء، ونسبة الهواء وغيرها. كي تعطيه نموذجاً خاصاً يحمل صفات متميزة في قوة البقاء والجودة.

ويمكن للباحث المتتبع أن يلمس هذا الإعداد للنفس والروح والجسد من خلال هذه الأحاديث

التي كشفت هذه الخواص بشكل جلي.

فقد نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «يا جبرائيل عظني»؛ فقال: «يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ وَافْعَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلاقِيهِ، يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ كَفُّهُ الأَذَى عَنِ النَّاسِ». (من لا يحضره الفقيه:١/٤٧١)

وعن الصادق عليه السلام قال: «ثَلاثَةٌ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ: التَّهَجُّدُ فِي اللَّيْلِ بِالصَّلاةِ، وَ لِقَاءُ الإِخْوَانِ، وَالصَّوْمُ». (أمالي الطوسي:١٧٢)

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «عَلَيْكُمْ بِصَلاةِ اللَّيْلِ فَإِنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ وَأَدَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَمَطْرَدَةُ الدَّاءِ عَنْ أَجْسَادِكُمْ». (تهذيب الأحكام:٢/١٢٠)

وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجل ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا ﴾،[المزمل:٦]؛ قال: «قِيَامَ الرَّجُلِ عَنْ فِرَاشِهِ يُرِيدُ بِهِ اللَّهَ لا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ». (الكافي:٣/٤٤٦)

وروى الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أَنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي يُصَلَّى فِيهَا بِاللَّيْلِ يُضِيءُ نُورُهَا لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يُضِيءُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لأَهْلِ الأَرْضِ». (من لا يحضره الفقيه:١/٤٧٣)

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾،[هود:١١٤]؛ قال: «صَلاةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّيْلِ تَذْهَبُ بِمَا عَمِلَ مِنْ ذَنْبٍ بِالنَّهَارِ». (الكافي:٣/٢٦٦)

وقد مدح الله تبارك وتعالى أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لقيام صلاة الليل، فقال عزّ وجل: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾،[الزمر:٩]؛ وآناء الليل: ساعاته. (من لا يحضره الفقيه:١/٤٧٣)

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ كَثُرَ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ». (من لا يحضره الفقيه:١/٤٧٤)

وروى جابر بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه

عليهما السلام، أنّ رجلاً سأل علي بن أبي طالب عليه السلام عن قيام الليل بالقراءة، فقال له: «أَبْشِرْ مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ عُشْرَ لَيْلَةٍ للهِ مُخْلصاً ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائكته: اكْتُبُوا لِعَبْدِي هَذَا مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ مَا أَنْبَتَ فِي اللَّيْلِ مِنْ حَبَّةٍ وَوَرَقَةٍ وَشَجَرَةٍ وَعَدَدَ كُلِّ قَصَبَةٍ وَخُوصٍ(١) وَمَرْعًى.

وَمَنْ صَلَّى تُسُعَ لَيْلَه أَعْطَاهُ اللهُ عَشْرَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ وَأَعْطَاهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِه يَوْمَ الْقِيَامَة.

وَمَنْ صَلَّى ثُمُنَ لَيْلِه أَعْطَاهُ اللهُ أَجْرَ شَهِيدٍ صَابِرٍ صَادِقِ النِّيَّةِ وَشُفِّعَ فِي أَهْلِ بَيْتِه.

وَمَنْ صَلَّى سُبُعَ لَيْلِه خَرَجَ مِنْ قَبْرِه يَوْمَ يُبْعَثُ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ مِنَ الآمِنِينَ.

وَمَنْ صَلَّى سُدُسَ لَيْلِه كُتِبَ مِنَ الْأَوَّابِينَ وَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه.

وَمَنْ صَلَّى خُمُسَ لَيْلِه زَاحَمَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فِي قُبَّتِه.

وَمَنْ صَلَّى رُبُعَ لَيْلِه كَانَ فِي أَوَّلِ الْفَائِزِينَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَمَنْ صَلَّى ثُلُثَ لَيْلِه لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إِلاَّ غَبَطَهُ بِمَنْزِلَته مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شِئْتَ.

وَمَنْ صَلَّى نِصْفَ لَيْلِه فَلَوْ أُعْطِيَ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَباً سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَعْدِلْ جَزَاءَهُ وَكَانَ لَهُ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ.

وَمَنْ صَلَّى ثُلُثَيْ لَيْلِه كَانَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ قَدْرُ رَمْلِ عَالِجٍ أَدْنَاهَا حَسَنَةٌ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ.

وَمَنْ صَلَّى لَيْلَهُ تَامَّةً تَالِياً لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاكِعاً وَسَاجِداً وَذَاكِراً أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَدْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَيُكْتَبُ لَهُ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَمِثْلَهَا دَرَجَاتٌ وَيَثْبُتُ النُّورُ فِي قَبْرِه وَيُنْزَعُ الْإِثْمُ وَالْحَسَدُ مِنْ قَلْبِه وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيُعْطَى بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَيُبْعَثُ مِنَ الآمِنِينَ وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائكته: مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي أَحْيَا لَيْلَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَسْكِنُوهُ الْفِرْدَوْسَ وَلَهُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفِ مَدِينَةٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَمَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ سِوَى مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْمَزِيدِ وَالْقُرْبَة». (أمالي الصدوق:٣٦٧)

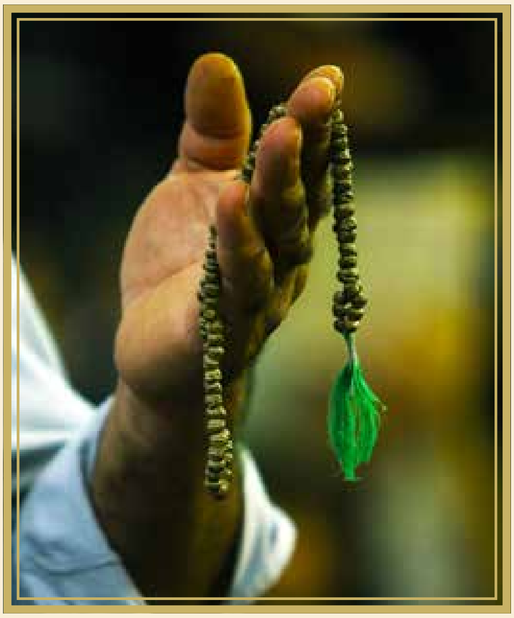

ولأجل هذه المزايا وغيرها اتخذ الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، ليلة للمناجاة والصلاة وتلاوة كتاب الله تعالى، وكثرة الدعاء والاستغفار، والتزود بالطاقات والفيوضات الإلهية.

فكان هو وأصحابه عليهم السلام بين قائم وراكع وساجد، لهم دوي كدوي النحل لا يفترون من ذكر الله تعالى ومناجاته والتضرع(٢) إليه، والرهبة(٣) منه، والتبتل(٤) إليه، والابتهال(٥) له، عزّ شأنه راجين في ذلك رضاه ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ملتمسين توفيقه في نصرة شرعه ودينه.

فكان لهم ما سألوا الله من أجله، فقد أجاب دعوتهم فمضوا مضرجين بدمائهم مجزرين كالأضاحي في ساحة قدسه في البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن، ضحىً من يوم عاشوراء.

---

(١) الخوص: ورق النخل، الواحدة خوصة، كما في الصحاح. وفي ثواب الأعمال وردت: (خوط ومراعي)، والخوط والخوطة: الغصن الناعم.

(٢) التضرع: هو رفع اليدين بالدعاء، وقيل: هو تحريك السبابة اليمنى، يميناً وشمالاً (كشف الغطاء:٢/٣٠٧).

(٣) الرهبة: أن تظهر ظهرهما.

(٤) التبتل: تحريك السبابة اليسرى ترفعها وتضعها.

(٨) الابتهال: تبسط يدك وذراعك إلى السماء، والابتهال حيث ترى أسباب البكاء؛ وإذا سألت فبطن كفيك، وإذا تعوذت فبظهر كفيك؛ وإذا دعوت فبأصبعك (كشف الغطاء:٢/٣٠٨).

عبد الله فالح

عن أبي الحسن الرضا صلوات اللّٰه وسلامه عليه قال:

«قال اللّٰه تبارك وتعالى: يا بن آدم! بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً، ما أصابك من حسنة فمن اللّٰه وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذلك أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذلك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يُسألون، قد نظمت لك كلّ شيء تريد»

المصدر: توحيد الصدوق: (ص٣٣٨ ب٥٥ ح٦)

يسر مجلتكم/ مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أن تدعوكم للمساهمة الجادة في الاستبيان الذي تطرحه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على اسهامكم في هذا الاستبيان.

ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة : (.................................)

ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: (...........................)

ما هو تقيمك في مضامين مجلة الوارث : (جيد ☐ / لابأس ☐ / ضعيف ☐)

ما هي جوانب الضعف في المجلة : (...)

ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر: (............................)

ما هي النقاط الإيجابية في المجلة : (...)

هل تعتقد أنّ حجم المجلة الحالي هو ملائم: (....................................)

يرجى ارسال المقترحات
الى شعبة الطبع والتوزيع

للحصول على النسخة الرقميـــة للمجلـــة امســـح هذا الكـــود

■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:

info@imamhussain-lib.org